

# فيما بين العشق العربي

أحمد سويلم





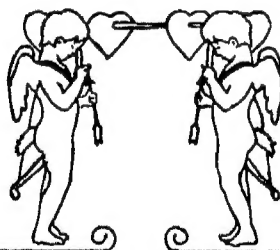
# مجانين العشق العربى

تأليف  
أحمد سويلم



إلى العشاق المجانين  
في كل العصور

أحمد سويلم





## هذا الكتاب

● هل للحب وجود في زماننا ..؟!  
لابد أن هناك فرقا بين العاشق القديم ..  
والعاشق العصري !  
ثم .. ماذا عن الجنون في العشق .. وهل كان  
العشاق المجانين في التراث العربي صادقين  
في مشاعرهم .. وأشعارهم ..  
لابد انهم كانوا يمثلون نماذج بشرية  
متفردة في عصورهم .. فكيف نراهم اليوم  
وقد فصلتنا عنهم قرون من الزمان ؟  
● تقدم رحلة هذا الكتاب خمس عشرة  
شخصية عاشقة مجنونة من تراثنا القديم ..  
تؤكد الصدق والعطاء والتضحية والتوحد في  
الاحساس والعشق والجنون .. ولكن بصورة  
مختلفة .. وإن جمع بينها ذلك الحب البائس  
المحروم الذي يملك على العاشق حياته  
وأشعاره حتى الموت .  
● إنها ذاكرة العشق العربية ننشرها اليوم  
لعلها تخلص الأرض .. والقلب .. والعقل ..  
في عصر يحتاج إلى الخصب والعطاء !



أحمد سويلم





## تمهيد

### في الحب .. والجنون

- قيل لأعرابي :

— إن ابنك قد عشق ..

قال : أى بأس فى هذا .. إنه إذا عشق .. نَظَّف .. وظُرِف .. ولُطِف !

— ويقول حكيم :

أعقل ما فى الحب .. جنونه !

- ويقول آخر :

إن ألد ما فى الحب .. الجنون !

أما الحب .. فقد أجهد الفلاسفة والعشاق والتميمون أنفسهم فى تعريفه .. ولم يفلح منهم أحد فى الوصول إلى تعريف جامع مانع - كما يقولون - وغاية ما وصلوا اليه هو تناول صفاته .. وأحواله .. واشتقاقاته اللغوية المختلفة .

فهذا ابن حزم يبدأ رسالته ( طوق الحمامة ) قائلا :

— إن الحب أوله هزل .. وآخره جد .. وهو لا يوصف .. بل لا بد من معاناته حتى تعرفه والدين لا ينكره .. والشرعية لا تمنعه .. إذ القلوب بيد الله عز وجل .. وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير ! ثم يسوق ابن حزم ثلاثين باباً يفصّل فيها علامات الحب وإشاراته .. وحالاته رغبة منه فى الوصول إلى الكمال فى العشق .

ويذكرنا ابن حزم بكتاب ( فن الهوى ) الذى كتبه أوفيد ( ٤٣ - ١٨ ق . م ) والذى قسمه الى ثلاثة أبواب : يشرح فى أولها كيف يجتد طالب الهوى ساعياً ليستولى على قلب خليلته .. وفى الثانى يعلمه كيف يحتفظ بحبها الى أطول أمد ممكن .. وفى الثالث يتوجه الى المرأة بنصائح

فيعلمها كيف توقع الرجل في حبالها وكيف تحتفظ به لمدة أطول .  
أما ابن داود في كتابه ( الزهرة ) فيكشف عن جوهر النظرية العربية في الحب ..

فماهى الحب لدى ابن داود مرادفة للبحث والغوص إلى الأعماق البعيدة أو التسامى الى القمم الشاخنة .

ويمكن أن نقول إن الصورة الشائعة للحب لدى القدماء تعتمد على مصدرين أساسيين : أولهما : الحب العذرى الذى بولغ فيه كثيراً فيما ينطوى عليه من ضروب الحرمان .. والصدّ والهجر .. واللقاء والفراق .. وما يحدث فيه من حالات الاكتئاب .. وكثيراً ما تنتهى هذه الأحوال الى الجنون .. فالموت .

أما الصورة الثانية فمصدرها الأدب الشعبى والحكايات المتخيلة في كتب النوادر والأخبار .. حيث تلعب الملاذ الجنسية دوراً أساسياً فيها .. وتمثل الرغبة في الاستمتاع بالمحبوب الدافع الأول للمغامرة .. والتعرض للأهوال .. وأيضاً بذل المال .

ويميل بعض المفكرين الى اعتبار قصص الحب العذرى صورة شاحبة للحب المحروم .. واعتبار القصص الشعبى صورة صارخة للحب المنهوم !  
كما اهتم دارسو الحب بعلاماته : من تحول الجسد .. الى الكمد .. فالخزن .. فالالاكتئاب .. وكذا إدمان النظر .. والاقبال بالحديث .. والانبساط الزائد .. والتضايق في المكان المتسع .. واستدعاء صوت المحبوب .. ومعرفة أخباره .. والوحدة .. والتأمل .. الى نهاية ما يصدر عن الحواس والعقل والقلب .. في إطار المحبوب .. وكأن المحب هنا ينظر للعالم من عيون محبوبته فحسب .

وقد شغف العرب منذ أقدم العصور بنوع العشق العفيف .. وكانوا يقدرُون أصحاب هذه العاطفة .. وكانوا يُعرفون بالعشاق المتيمن والعشاق العذريين .. والعشاق الغزليين فكان تراثهم أروع ما ورثه العرب للأجيال المتعاقبة .

وحينما جاء الاسلام قدّر الحب والمحبة .. في إطار التعفف .. فقد عدّ  
الرسول صلى الله عليه وسلم من بين من يظلمهم الله في ظله يوم القيامة  
» ..... ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال إلى نفسها .. فقال : إني  
أخاف الله ! «

بل يروى عن الرسول الكريم قوله :  
— من عشق .. وكتم وعف .. وصبر .. غفر الله له وأدخله الجنة ..  
وعنه أيضا .. أنه قال :

— من عشق .. فكتم .. وعف فمات .. فهو شهيد  
والعذريون يذعنون للحب باعتباره قضاء من الله .. ويصبرون على  
تباريحه راجين عليه الثواب ، بل يرون أنفسهم مجاهدين أبطالاً ..  
فلا يغفون عن هذا الجهاد حولا .. بل يرجون منه المزيد .. فإذا ماتوا ..  
ماتوا شهداء ..

ومن ثم يقترب العشاق على هذه الحال من حب للتصوفة .. حيث لجأ  
بعض الصوفية الى الوصول الى الذات العلية عن طريق التأمل في الجمال  
الجسماني ..  
ولنقرأ لابن الفارض قوله :

أيا كعبة الحسن التي لجمالها      قلوب أولى الألباب لبّت وحجّت  
بريق الثنايا منك أهدى لناسنا      بريق الثنايا .. فهو خير هدية  
وأوحى لعيني أن قلبي مجاورٌ      حماك فتاقت للجمال .. وحنّت  
جمال عيناك المصون لشأمة      عن اللثم فيه عدتُ حياً كميّت

ألا نرى هنا هذا القرب في كلا العشقين .. العشق الانساني والعشق  
الالهى .

وقد يؤدي الحرمان والصد الى الجنون .. أو على حد قول مُلَيِّح الهذلي :  
فلم أر مثلي يستجنّ صباةً

من البين أو يكي الى غير واصل

فالجنون هنا يعنى زوال العقل أو فساده .. ثم هو يؤدى إلى الموت .  
أو يؤدى إلى السلو والبعد !  
والجنون له صوره .. ومؤيد وجوده فى العشق .. فقد وصفه الكثيرو  
ومنهم المتصوفة وجعلوه أعلى مرتبة للعشق ..  
إن معانى الجنون - فى اللغة - الاستتار .. والصوفى مستتر عن الخلق .  
نافر منهم .. مشغول عنهم بتأملاته ومواجهيده ..  
وكذلك العشاق .. يستترون عن أقوامهم .. نافرون منهم .  
مشغولون بتأملاتهم ومواجهيدهم ..  
والعشاق المجانين فى التراث العربى كثيرون .. فيهم من اشتهر بجنون  
وفيهم من لم يشتهر .. لكنهم يجمعهم خيط واحد .. يحرم على العاشق  
عشقا فى غير محبوبته .. وربما يحرم على نفسه شعرا فى أى غرض آخر  
العشق .. ويغلب على العشاق المجانين الشعر .. فهو أقرب طرق التعبير  
عن الاحساس الصادق .. والخيال والتأمل .. وإفراغ الشحنة العاطفية  
أبيات ..

ويقترّب الشعر من الجنون !  
فالشعر فن .. والفن لون من ألوان التمرد والثورة على المألوف  
والواقع .. انه يضرب بجناحيه فى آفاق أسمى وأبعد من الأرض .  
هو إذن ضرب من الجنون ..  
وهم يقولون : الفنون .. جنون ..  
لكن الشعر هو (تفريغ) نفسى لأحلام الشاعر الذى لا يستطيع  
يخسدها .. ومن ثم تتداخل دائرته مع دائرة الجنون ..  
ويجمع بين العشاق المجانين ذلك الحب البائس المحروم الذى يملكه  
حياته وأشعاره حتى الموت ..  
وهذه الرحلة التى بين يديك أيها القارئ العزيز .. تحاول أن تطو  
بهذه النماذج الذى أشهرها وأغفل بعضها التاريخ العربى ..  
وقد حرصت فى اختيار العاشقين ثلاثة شروط مهمة : أولها ان يف

العاشق طوال حياته لا يعيش الا معشوقته .. والثاني ان يموت دون عشقه .. والثالث ان يكون شاعرا يسطر قصته في قصائده .. فبغير الشعر لم يكن يصلنا عنه خبر .

ولا ندعى أنها رحلة تطوف بكل النماذج .. وإنما هي تنتقى وتختار وتصطفى وتنقى وتقدم في صياغة سلسلة شاعرية الى حد كبير .. تجمع بين هؤلاء المتيمين وهؤلاء العذريين .. مؤكدين توحدهم في الاحساس والعشق والجنون .. ولكن بصور مختلفة .. حرصنا على تنوعها بقدر الاستطاعة حتى لا تتكرر الصور نفسها ..

وقد حرصنا أيضا أن يقرأها الكبار والناشئة .. في إصرار على تقديم التراث العربي لقارئ اليوم في بساطة وتوثيق ..

ولا يحسب القارئ أننا تعجلنا في شيء .. فمسئولية تقديم التراث ليست بالأمر اليسير .. لهذا كان رجوعنا الى المصادر والمراجع الموثوقة التي تروى وتختلف .. ولم نسلم بأية رواية أو أى أشعار إلا بعد أن يرنح إليها وجداننا .. ويطمئن إليها ذوقنا وإحساسنا ، وهي مصادر ومراجع كثيرة تبدأ من أمهات الموسوعات الأدبية وتنتهى عند أحدث الدراسات .. والدواوين .. والأخبار ..

وبعد ...

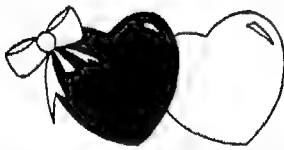
فهذا هو حصاد رحلة استغرقت جهداً وإخلاصاً وحباً .. وجنوناً أيضاً !  
والله الموفق .

احمد سويلم



# مجانين العشق العربى

تأليف  
أحمد سويلم



المرقش الأكبر  
وصاحبه أسماء







سكنْ ببلدة وسكنتُ أخرى  
 وقُطعت الموائقُ والعهدُ  
 فما بالي أفي ويُخَانُ عهدي  
 وما بالي أصادُ ولا أصيدُ  
 المرقش الأكبر

١

واحد من أقدم العشاق المتيمين الذين عاشوا العصر الجاهلي .. وضربوا  
 مثلاً في الحب العفيف .. ومات دون حبه .. فكان شهيداً ..  
 وربما تشابهت مع قصته قصص أخرى في العصور التالية - خاصة قصة  
 عروة وعفراء - مما يدل على أن هذا العشق كان ثمرة الحياة الاجتماعية في  
 الجزيرة العربية .. بما تتميز به من قسوة وطغيان .. دفع هؤلاء العاشقين  
 إلى اختراق جدران هذه الحياة بلون من ألوان العاطفة الروحية .. والحب  
 العفيف .. والتوحد مع المحبوبة ..  
 ومهما اختلفت أو تشابهت قصص الحب .. فيكفي أن بطلها هو هذا  
 الإنسان العربي الذي يقتحم بقلبه ووجدانه تلك البداوة الشرسة ..  
 فيحيلها إلى واقع جميل أو هو يبكي على فقدان هذا الواقع .. ولهذا فإن  
 خيال هؤلاء الشعراء يختلف كثيراً عن خيال غيرهم من الشعراء .. في أنهم  
 يلونونه بلون واحد: عشق واحد .. ومغشوقة واحدة .. ومن ثم فإنهم  
 يخوضون ويكتشفون ويتوحدون .. ويقفون حياتهم كلها وأشعارهم كلها  
 على هذا الواقع المريع ..



والمرقش الأكبر أحد من قال الشعر فلقب بما جاء في شعره . . فقد أنشد  
يوما قوله :

النشرُ مسكٌ والوجوه دنا      نيرٌ وأطرافُ الأكف عنمُ  
والدار وحشٌ والرسوم كما      رُقشٌ في ظهر الأديم قلمُ  
لستُ كأقوامٍ خلأثفهم      نث أحاديث وهتك حُرْمُ

فلقب بالمرقش . . نسبة الى البيت الثاني  
أما اسمه فهو عمرو أو عوف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس  
بن ثعلبة والذي ينتهى نسبه الى بكر بن وائل . .  
وهو عم المرقش الأصغر هذا الشاعر الذى لم يسلم قلبه أيضا من العشق  
كما ان المرقش الأصغر عم طرفة بن العبد . .

والمرقشان كلاهما ومعهما طرفة كان لهم موقع فى بكر بن وائل وحروبها  
المشهورة مع بنى ثعلب تلك الحروب التى هى من أهم أيام العرب . .  
وبالرغم من فروسية المرقش الأكبر . . وصلابة بأسه وقوته وشجاعته كان  
يمتلك قلباً ليس عصياً على العشق ، بل عاش فى شبه مأساة حقيقية جمعت  
أطراف حياته فى قبضة واحدة . . هى الحب المستحيل . .

وتجمع كتب التاريخ الأدب أيضا على أن جل أشعاره كانت تمتزج  
بالفروسية والعشق معا لصاحبه أسماء بنت عمه عوف بن مالك  
بن ضبيعة . . والذي يروى عنه ابن قتيبة انه أسر المهلهل فى حروب بكر  
وتغلب . . وبقي فى إيساره الى أن مات . .

وكما ينشأ الأطفال . . نشأ المرقش وصاحبه أسماء . . فى جو البادية الحار  
بشمسه . . ودفع عواطفه . . وبراءة نظراته . .  
ولم يكن العرب أهل حضر . . بل كانوا أهل رعى وزراعة وعمل . .



فهم يرعون لإبلهم وأغنامهم .. ويزرعون فوق الربى ما استطاعوا ..  
ويعملون في بعض الصناعات التي تتيحها لهم البيئة ..  
ويشب الأطفال .. أمام أعين الجميع أصدقاء أحباء .. إلى أن جاء  
اليوم الذى دخل فيه المرقش على عمه عوف .. فرحب به وضمه إلى  
صدره :

— أهلا بك يا ابن أخى .. إننى معجب بك شاباً فارساً مغيراً ..  
قال المرقش :

— أيستحق هذا الشاب الفارس أن يخاطب أسماء يا عمه ..  
وبالرغم من أن المرقش وأسماء أمام الجميع لا يفترقان .. فإن أباهما قد  
بدا وكأنه فوجئ بهذا العرض .. وأراد أن يهرب من المرقش بحجة  
مفتعلة .. فقال :

— اسمع يا ابن أخى .. تعلم كم أحبك وأؤثر على غيرك .. لكن  
أسماء ابنتى .. وأقرب أبنائى الى قلبى .. ولن أزوجك حتى يكون لك  
بأس فى قومك .. ومقام كبير لا يناله غيرك ..  
— انه أمر يطول يا عمه ..

— هذا ما عندى يا ولدى .. ولك منى الوعد أن أحفظ أسماء لك .





إن الغريب في مثل هذه القصص التي تتعلق بالقلوب .. أن يعد الآباء أبناءهم .. ثم يخلفون .. لأمر أو لآخر .. ربما طمعاً في ثراء أو مقام أو حسب أو نسب .. ثم حين يتحقق ذلك لمن وعدوهم .. لا يفعلون شيئاً من أجلهم .. وإنما يدوسون على قلوب هؤلاء الصغار فيموتون بالعشق المقدس ..

لقد وعد أبو أسماء ابن أخيه المرقش بأن يحفظها له حتى يحقق البأس والمال والشرف والرياسة ..

ولم يكن هذا صعباً على فارس مثل المرقش وإن كان يتطلب وقتاً .. ومن ثم انطلق المرقش في رحلة طويلة الى بعض ملوك اليمن يمتدحهم وينال منهم العطايا والشرف ..

ويطول الغياب .. !

وتلعب الأقدار لعبتها المتيقنة !

فقد أصابت عوفاً شدة في ماله وحياته .. ومكث في بيته حزيناً يائساً .. يكاد هو وأهل بيته يموتون جوعاً وحاجة ..

ويساعده أبناء قومه على استحياء شديد .. فقد كان عوف ذا مكانة في قومه .. لا يمد يده الى أحد ..

وينسى عوف حكاية المرقش وابنته في زحام هذه الشدة العسيرة .. الى أن جاء يوم .. وطرق بابَه أحد رجال بني مراد ..

ويعلم هذا الرجل حاجة عوف الى المال ..

ويجدها فرصة سانحة ليعرض عليه مائة من الابل مهراً لأساء ..

ترى هل يتردد الأب وهو في أشد الحاجة الى المال وقد اقترب من باب

داره .. وماذا يفعل مع وعوده الماضية التي أوثقها مع المرقش ..

ولا بد أن المرقش سوف يعود يوماً منتصراً ومحققاً ما أراد له أبو أسماء فهو

فارس لا يشق له غبار .. والفارس قادر على نيل ما يريد ..



لم يفكر أبو أسماء في كل هذا .. فقد ضاق فكره .. وتحجر وجدانه ..  
 وحدقت عيناه في ثراء هذا الرجل الغريب عن قومه ..  
 رحب عوف بعرض الرجل الثرى .. وبالأبل المائة .. لابد أن باب  
 الخير قد انفتح .. وانفجرت تلك الحلقة الضائقة عليه وعلى أهل بيته ..  
 ويزف عوف ابنته أسماء الى زوجها الثرى ..  
 ربما أخرست التقاليد العربية لسان أسماء في الدفاع عن حبها للمرقش  
 فرضيت بقضاء الله .. ورضيت أن تعيش مع زوجها ارضاء لأبيها .. لكن  
 قلبها لا يزال مع هذا الغائب البعيد ..  
 ماذا تحبى لك الأيام أنت أيضا أيها العاشق الغائب .. وأنت تعيش  
 ليل نهار مع طيف أسماء وتنشد لها دائما :

أغالبك القلبُ اللجوجُ صباية      وشوقاً الى أسماء أم أنت غالبه  
 يهيم ولا تعيا بأسماء قلبه      كذلك الهوى إمراره وعواقبه  
 لأسماء هم النفس إن كنت عالما      وبأدى أحاديث الفؤاد وغائبه  
 إذا ذكرت النفس ظلت كأننى      يززعنى قففاف ورد وصالبه

ماذا ينتظرك أيها الفارس العاشق حينما تعود ؟ هانتذا يحير القلب في عشق  
 أسماء .. فقد أصبحت أسماء كل شيء في حياتك .. ونجوى فؤادك التى  
 لا يرضى سواها .. وانه ليذكرها فيضطرب جسده .. وترتعد أطرافه كأنما  
 مسته حى شديدة ..  
 إنها شكوى العاشق الخالم .. مشوبة بالجنون والجراح ..





ويعود المرقش ومعه مال كثير ..  
 عاد منتصراً مزهواً كما أراد له عمه عوف ..  
 تشرق البسمة على وجهه .. يلوح بسيفه .. ينشد أشعاره في معشوقته  
 أسماء ..  
 وكان أبو أسماء قد أفاق من تلك الغيبوبة الشديدة .. فادرك خطاه  
 وخطيئته وجمع أهله وبعض أصدقائه يشاورهم في أمر المرقش - إذا عاد ..  
 ويطول الحوار .. وتعلو الأصوات - لكنها تخمد في النهاية على حل  
 غريب .. لقد اجتمع الحاضرون على ألا يخبروا المرقش بما حدث .. بل  
 يخبرونه انها ماتت ..  
 ولكي تتقن اللعبة .. ذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه .. ولقوه  
 في ملحفة وأودعوها القبر ..  
 وها هو ذا المرقش يدخل على قومه سيداً فارساً صاحب بأس ومال ..  
 — هأنذا يا عم .. لم أعجب كثيراً .. عدت لك بأكثر مما أردت ..  
 — عودة حميدة يا ولدي .. ومرحباً بك .. لكن !  
 قاطعه المرقش وعيناه تتسعان بالدهشة والتوجس :  
 — لكن ماذا يا عم ؟  
 ويفتعل أبو أسماء البكاء .. ويفتعل إخوة أسماء الحزن ..  
 — لقد ماتت أسماء يا ولدي .. وهذا أمر الخالق ..  
 — ماذا تقول .. متى .. كيف .. أين ؟  
 أصاب المرقش هوس شديد .. إن هذا يعني ضياع كل شيء من هذ  
 العاشق .. فما فائدة الحياة بعد أسماء ..  
 — دلوني على قبرها !  
 وقبل أن يفيق من جنونه .. صحبه الجميع الى قبر الكبش الذي فيه  
 دفنوا عظامه ..



قال أحدهم :

— أتريد أن تنبشه لتصدّقنا ..

لم يُعر المرقش كلامه أى اهتمام .. فقد ثَبَّت عينيه على القبر .. وغاب  
فى أحلامه المستحيلة ..

ويحاول الجميع أن يخرجوه من همه دون جدوى .. فانصرفوا .. وتركوه  
وحيدا .. مع هذا القبر الموهوم ..

وظل المرقش يقضى يومه كله بجانب القبر .. يبكى أحلامه وعشقه ..  
ثم إذا حل الظلام عاد منهوكا الى داره لا يذوق النوم ..  
ويصيب المرقش نحول شديد .. وهم أشد ..

وذات يوم .. كان المرقش يستند إلى القبر وقد تغطى بثوبه .. وعلى بعد  
قريب منه يلعب ولدا أخيه بكعبين لها .. وهو يتابعهما .. حتى اختلف  
الولدان على أحد الكعبين واختصما ..  
وهنا قال أحدهما الى الآخر :

— هذا كعبي .. منحني إياه أبى من الكبش الذى دفنوه فى هذا  
القبر .. وقالوا إذا جاء المرقش أخبرناه انه قبر أسماء ..  
ويدرك الولد الآخر فداحة الموقف ويحاول أن يضع يده على فم أخيه  
الصغير .. لكن لا جدوى .. فقد صكت أذن المرقش هذه الكلمات ..  
فنهض من مكانه وكأنه أفاق من سبات عميق أولدغته أفعى ..

— تعال أيها الولد .. ماذا تقول ؟

رد الولد الآخر : لا شيء يا عم .. إنه يَحْرِف ..

قال المرقش : إصمت أنت .. لا حاجة لى لكلامك ..

وأمسك المرقش بيد الصغير .. وأخذ يداعبه ويلاففه .. حتى سمع منه  
القصة كاملة .. فالصغار لا يعرفون الكذب !

وأطلق الصغير .. وغاب فى تأمل عميق

ثم بدأ يضحك بصوت عال مجنون :



— ما أغبانى .. وما أشقانى بخيتى .. لن يجدى خلق الفارس فيك  
يا مرقش .. عليك الآن أن تعرف الحقيقة ..  
لم يجتهد المرقش كثيراً في معرفة الحقيقة .. فقومه جميعهم يعرفونها ..  
لكنه حينما دخل على عمه .. واجهه مواجهة شديدة .. فلم يستطع إلا أن  
يبوح له بكل شيء ..  
— لعنة الله على المال يا عماء .. أتبيعني من أجل المال .. أتحت في  
قسمك وتخلف وعودك من أجل بريق المال ؟  
ويبدأ المرقش في مرحلة جديدة .. انه فارس يريد أن يستعيد ما فقده في  
ساحة القتال !



ويعد المرقش نفسه للرحيل ..  
لم يزحل وحده .. بل أخذ معه أجيلاً من غفيلة كان عنده وزوجته  
الأجيورة وركب الثلاثة الى حيث يكون الماردى -زوج أسماء .  
كم أنت طويل أيها الطريق ..  
لكن المرقش لا يثنيه طريق طويل .. وان كان الأجيران قد رحلا معه  
على مضض ..  
وكان الغفلى وزوجته يعدان طعاماً للمرقش .. لكن المرقش كان قليل  
الطعام .. دائم التأمل والغياب .. ان كل ما يبغيه أن يبلغ أسماء !  
وقرب نجران .. مرض المرقش ..  
وكان لابد أن يستريح كثيراً .. فلم يعد لديه قدرة على ركوب دابته  
فتزلوا كهفاً ومكثوا فيه أياماً ..  
لم يكن الكهف بعيداً عن ديار أسماء .. لكنه الآن أمسى بعيد المنال ..  
وقد فقد المرقش القدرة على التحرك والاستمرار في الرحيل ..





وينشد المرقش مأساته قائلاً :

سكنٌ ببلدة وسكنت أخرى      وقطعت الموائق والعهودُ  
فما بالي أفي ويخان عهدي      وما بالي أصاد ولا أصيدُ  
ورب أسيلة الخدين بكرٍ      منعمة لها فرع وجيدُ  
لهوت بها زماناً من شبابي      وزارتها النجائب والقصيدُ  
أناس كلها أخلقت وصلًا      عناني منهم وصلٌ جديدُ

وساءت الحالة الصحية للمرقش .. وعجز صاحب المرقش عن مداواته  
ومساعدته .. إلى أن جاء يوم تحدث الأجير الغفلى إلى امرأته على مسمع من  
المرقش :

— كفانا جهداً مع هذا المريض الذى لن يقوم أبداً .. اتركه .. فقد  
هلك سقمًا وهلكنا معه ضرا وجوعاً .. ما الذى يجمعنا على الجلوس هنا .  
وترد عليه امرأته :

— من الخطأ وعدم الوفاء أن نتركه هنا سقيماً هكذا للوحوش  
والضواري ..

قال :

— ما حيلتى .. لقد سئمت ..  
وأخذت المرأة تبكى وتندب حظها .. فهي لا تريد أن تترك سيدها فى  
هذه الشدة ..

ويتحاور الزوجان .. ويعلو صوتهما .. فيصرخ الزوج فى زوجته :  
— إذا لم تطيعنى .. تركتك وذهبت عنك ..  
وأدرك المرقش أن صاحبيه راحلان لا محالة .. وأنها تاركانه وحده فى  
هذه القفار الجرداء ..

فاقترب من رجل الأجير وكتب عليه هذه الأبيات ..



يا صاحبي تلبثا لا تعجلا  
فلعل لُبثكما يفرط سيئاً  
يا راكباً إما عرضت فبلغن  
لله دركما ودر أبيكما  
من مبلغ الأقوام أن مرقشاً  
ذهب السباع بألفه فتركه  
وكأنما ترد السباع بشلوه  
إذ غاب جمع بني ضبيعة منها

واستراح المرقش بعد أن كتب هذه الأبيات وكأنه يوجهها إلى أخيه حرمة  
حينما يقرأها ..

ويعود العبدان الأجيران إلى قوم المرقش .. ويخبران الجميع أن المرقش  
قد مات ويشك حرمة أخو المرقش في هذا الخبر .. فأخذ يفتش الرجل ..  
ويقلبه حتى عثر على هذه الأبيات فقرأها .. وفهم مقصدها .  
وهنا قص العبدان على حرمة حقيقة الخبر .. فقتلها بعد أن وصف له  
موضع الكهف الذي فيه المرقش .

## ٥

وكان المرقش قد استطاع بعد رحيل العبدان أن يقترب من باب الكهف  
ويطل على الصحراء والشمس المشرقة .  
وفجأة لاحت على ربوة قرية أغنام ترعى .. أخذت تجرى وتلعب حتى  
اقتربت من الكهف .. فأقبل الراعى يسوق أغنامه الشاردة فوقعت عينه  
على المرقش وقد ساءت حاله .  
ويقترب الراعى من المرقش .. ويعرف منه حكايته .  
لقد كان الراعى يعمل عند زوج أسماء ..



أية صدفة تلك التى ساقها القدر إلى هذا العاشق المجنون .. لا بد أنه قريب من أسماء .. ولا بد أن الأوان قد آن للقاء المرتقب .  
 دبت الدماء فى عروقه مرة أخرى .. وقد منحه الراعى بعض الطعام ..  
 وخفق قلبه لمعرفة أخبار حبيبته أسماء .  
 ثم سأل المرقش هذا الراعى الطيب :  
 — أتستطيع يا صاحبى أن تكلم أسماء امرأة صاحبك ..  
 قال الراعى : لا ياسيدى ولا حتى أقترّب منها .. لكن تأتبنى جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزاً وتذهب بلبنها .  
 وتورد وجه المرقش .. ولمعت فى ذهنه فكرة :  
 — إذن خذ خاتمى هذا .. فإذا حلبت فألقه فى اللبن .. فإن سيدتك أسماء ستعرفه .  
 وتردد الراعى خائفاً .. لكن المرقش طمأنه إلى أن ما يفعله هو خير له بل سوف ينال مكافأة على ذلك لم ينلها راع قط .  
 ويقتنع الراعى بعد حوار طويل .  
 فلما جاءت الجارية إلى الراعى بالقدح وحلب لها العنز طرح فيه الخاتم .  
 وانطلقت الجارية إلى أسماء وتركت القدح بين يديها وانصرفت .. فلما سكنت رغبة اللبن أخذته وشربته .. حتى قرع الخاتم ثنيتهما .. فأخذته بأصابعها وحدقت فيه .. وأدركت أنه للمرقش ..  
 وهنا استدعت الجارية وسألتها فى صراخ :  
 — ما هذا الخاتم ؟  
 قالت الجارية فى خوف شديد :  
 — ليس لى به علم ياسيدتى .. أقسم لك  
 قالت أسماء :  
 — إذن اذهبى إلى سيدك ودعيه يحضر حالا ..  
 ويحضر زوجها فى فزع شديد فدخل عليها قائلاً :



— لم دعوتنى يا أسماء .. خيرا ؟  
 قالت له : ادع عبدك راعى غنمك ..  
 فدعاه الرجل .. فقالت :  
 — اسأله الآن .. أين وجد هذا الخاتم ؟  
 فقال الراعى فى براءة وصدق :  
 — وجدته مع رجل فى كهف قريب قال لى اطرحه فى اللبن الذى تشربه  
 سيدتك أسماء .. فإنك مصيب به خيرا .. ولم يخبرنى من هو .. ولقد  
 تركته فى الكهف يشرف على الموت .  
 وهنا صمتت أسماء عن التعليق ..  
 ويسألها زوجها : لمن هذا الخاتم .. ومن هو هذا الرجل ..  
 فترد أسماء فى صوت خفيض :  
 — إنه خاتم المرقش .. وأرجو أن تعجل فى إحضاره الآن وتنقذه من  
 الهلاك .  
 ركب الزوج فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى وجداه .. فحملاه  
 إلى البيت وهو فى نازعه الأخير .  
 لقد فتح عينيه على أسماء .. ودق قلبه من جديد دقات معدودة .. وجُنَّ  
 بلمس يدها .. لكن القدر لم يسعف هذا العاشق المجنون فمات عند  
 حبيبته أسماء ودفن فى أرض مراد .  
 وهكذا تطوى صفحة من صفحات العشق المجنون .. الذى يسلب العاشق  
 عقله ووجدانه وأحلامه جميعا .



المرقّش الأصغر  
ومعاقبة الذات





أفاطم إن الحب يعفو عن القلى  
ويُجشم ذا العرض الكريم المجاشم  
ألا فاسلمى ثم اعلمى أن حاجتى  
إليك .. فردى من نوالك فاطم  
أفاطم لو أن النساء ببلدة  
وأنت بأخرى لاتبعنك هائم  
المرقش الأصفر

١

لعلنا نكون منصفين حينما نقرر أن قصص الحب المجنون - على قلتها - فى  
العصر الجاهلى كان لها مذاقها الخاص الذى قد يختلف عن مثيلاتها لدى  
الشعراء العذريين .  
فما كانت تمليه التقاليد .. وظروف الحياة .. وكثرة الصراعات  
والحروب .. جعلت مثل هذه القصص تأخذ لونا خاصا .  
كما نلاحظ أيضا أن السبب فى قلة هذا النوع من القصص يعود إلى  
أسباب كثيرة منها زحام الأغراض الشعرية الأخرى وأسبقيتها .. ومنها أيضا  
أن التدوين والتسجيل فى هذا العصر لم يكونا على الشكل الذى يرصد ويفيد  
هذا اللون بعكس القصيدة التى كان الرواة يحفظونها من فم صاحبها  
ويردونها بالسليقة على امتداد الجزيرة العربية .  
وبالرغم من هذا كله فإن القصص الغرامية كانت فى العصر الجاهلى  
حقيقة ثابتة من حقائق العصر الأدبية .. مثلت واحدة من أجناس  
الأدب .. بل نظر مؤرخو الأدب إليها بأكثر مما نظروا مثلاً إلى الأساطير



والأمثال والأوابد والأيام .. والأخبار وغيرها .  
وقصة المرقش الأصغر واحدة من تلك القصص التي لم تهملها كتب  
الأدب العربي .. وتكاد تجمع على تفاصيلها وأشعارها بلا خلاف كثير .  
وهو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة .. وهو ابن أخي  
المرقش الأكبر صاحب أسماء .. وهم عم طرفة بن العبد .. وأشعر  
المرقشين وأطولهما عمراً .. وأحد العشاق المشهورين وفرسانهم المعدادين .  
وحينما يكون العاشق شاعراً .. تضيع أخباره من خلال شعره .. فإذا  
جمع إلى الشعر الفروسية .. اكتملت حلقات الشهرة .. والفتوة  
العربية .. ليحارب بالكلمة والسيف .. ويقدره المجتمع بأكثر من كونه  
شاعراً فحسب .

وقد كان للمرقش الأصغر صولات وجولات في بكر بن وائل وحروبها مع  
تغلب ويصفه معاصروه بأنه كان من أجمل الناس وجهاً .. وكان شجاعاً  
فتياً .

وقصة المرقش الأصغر هي قصة الفارس العاشق .. حيث تحولت  
فروسيته من ميدان القتال إلى فروسية العاطفة الصافية .. حيث تتلون  
بالرثاء النفسى .. ومعاقبة الذات والنوح والدموع والندم جميعاً .  
وتبدأ القصة حينما وقعت عيناه على هند بنت العجلان جارية فاطمة بنت  
المنذر .. فأعجبته .. وتعلق بها قلبه .

وكان المرقش راعياً لا يفارق إبله .. وكان يقيم عند الماء ويترك إبله  
ظمأى .. وينطلق إلى بنت العجلان فيقضى عندها ما يشاء من الوقت ..  
ويعود والشعر على فمه ينثال سهلاً ليناً معبراً صادقاً .

أمن رسم دار ماء عينيك يَسْفَحُ  
أمن بنت عجلان الخيال المطرَحُ  
بأطيب من فيها .. إذا جثت طارقاً  
غدا من مقام أهله .. وتروحوا  
ألم .. ورحلى ساقط متزحزح  
من الليل .. بل فوها ألد .. وأنصح





ويظل زمناً يعشق هنداً .. ويقول الشعر ويتناقله الرواة هنا وهناك .

## ٢

وكان من الممكن أن تستمر الأحداث هكذا سهلة رخيية بلا صعباب ين .  
الحبيبين .. فالمرقش الأصغر شاعر فارس مرموق في قبيلته .. وهند جارية  
لا طائل منها ولا خوف على السادة من عشقها للمرقش .  
لكن أمراً ما حدث .. حول مجرى القصة .

فقد كانت فاطمة بنت المنذر تجلس فوق قصرها ( بكازمة ) فتنظر إلى  
الناس .. وكان على هذا القصر حرس شديد لا يسمحون لأحد بالدخول  
أو الاقتراب من القصر إلا هند بنت العجلان .

ولاحظت فاطمة أن فتى جميلاً دخل عند هند فبات ليلته حتى الصباح ..  
فأرادت أن تتقصى الأمر من هند في الصباح .

وجاءتها هند وعليها أثر من الإرهاق .. وتحدثت أمام مولاتها ..  
فلاحظت آثاراً فوق فخذيها كأنها آثار سياط .. فسألته : ما هذا يا هند ..  
فأجابت : إنها آثار رجل بات معي الليلة .. من شدة حفزه إياي عند  
الجماع .

قالت فاطمة : أهو هذا الفتى الجميل الذي دخل بيتك عشية أمس .  
قالت : نعم ياسيدي .. قعد عن إبله وكان يرعاها .. وبات عندي .  
قالت فاطمة : أقول لك شيئاً تحبّرين به وفاءه ورجولته .. إذا جاءك  
غداً .. فقدمي له مجمراً واطلبي منه أن يجلس عليه .. وأعطيهِ سواكاً ..  
فإن استاك به أو رده فلا خير فيه .. وإن قعد على المجرم أو رده فلا خير  
فيه .

فجاءها المرقش في الغد .. وأتت له بالمجرم وقالت له : اقعد عليه ..  
فأبى .



وقال : قريه منى .. فدخلن لحيته وأبى أن يقعد عليه .. وأخذ السواك  
فقطع رأسه واستاك به !  
ثم أسرع هند إلى فاطمة تخبرها بما جرى .. فازدادت به شغفا  
وقالت : اثبتى به فى الغد .. واحتالى فى ادخاله على .  
كان ابن المنذر قد رصد حرس القصر حتى لا يدخل على ابنته فاطمة  
رجل غريب .. وكان يرسل فى صباح كل يوم من ينظر فى أثر من دخل  
إليها .. ويعود إلى الملك قائلا : لم أر إلا أثر بنت العجلان .. فيطمئن !  
ماذا تفعل بنت العجلان فى رغبة مولاتها فاطمة .. وكيف تدخل عليها  
المرقش الأصغر .. لابد أن آثار أقدامه تختلف عن آثار قدميها .  
وتمكنك أخيراً من الوصول إلى حيلة ذكية .. لا ينتبه إليها الحرس  
ولا خبراء الأثر .

ويظل المرقش فى اليوم التالى يرعى إبله .. ويضحك مع أصدقائه ..  
وكان بينهم صاحب أثر يقال له : عمرو بن مالك شديد الشبه به لا يفرق  
عنه إلا بغزارة شعر جسده .. وكانا قد تعاهدا على ألا يكذب أحدهما على  
الآخر .. ولا يخفى أحدهما عن الآخر شيئاً .

### ٣

ويجيء موعده مع هند .. فيترك إبله وأصحابه إلى بيت هند .. فتخبره  
أن مولاتها تدعوه إلى بيتها الليلة .  
فاطمة بنت المنذر تدعو المرقش .. وحبيبته هند هى الواسطة .. وهى  
تفعل ذلك راضية ومتساحمة .  
وتشور فى داخل المرقش أفكار متضاربة .. تنتهى أخيراً إلى فرحة داخلية  
بلقاء فاطمة .. تلك التى لا يدخل إليها أحد .. لكن كيف !



لقد حملت بنت العجلان مرقشاً على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب ..  
وأدخلته إلى فاطمة لبييت عندها .. ويظل طوال الليل كأنه في حلم جميل .  
وتحملة بنت العجلان في الصباح إلى خارج القصر .. ويبعث الملك  
كعادته من ينظر في آثار الداخلين إلى ابنته فاطمة .. ويعودون إليه قائلين :  
— لقد نظرنا أثر بنت العجلان وهي مثقلة .

أى أن أقدامها قد انغرزت كثيراً في الرمل .. لتثقل جسمها .  
ويضحك الملك .. غير عابئ بهذا الأمر المختلف .. وأخذ الحاشية  
يسخرون : ربما حملت من وراء ظهورنا .. أوروبما كانت تحمل شيئاً ثقيلاً  
إلى سيدتها .

ويظل المرقش يذهب إلى فاطمة كل ليلة عن طريق بنت العجلان فيبيت  
عندها حتى الصباح .. حتى علق كل منهما بالآخر .. وهاما عشقا  
وجنونا .

ويسأله صديقه يوماً ما الذى تفعله ياربعة .. ألم نتعاهد عهداً ألا  
تكتمنى شيئاً .. ولا أكتمك .. ولا نتكاذب ؟

وحاول المرقش أن يراوغ صديقه .. لكن ما بينهما من عهد جعله يقص  
عليه الخبر .. وصاحبه يسمع في دهشة وإثارة .

ثم قال له عمرو بن مالك : بحق ما بيننا من صداقة .. لن أرضى عنك  
ولن أكلمك أبداً حتى تدخلنى على فاطمة .. فأنا أشبه رجل بك .. ولن  
تفطن لشيء يختلف لدى عنك .. وحلف على أن يكون هذا سرّاً بينهما  
لا ييوح به .

ولم يكن أمام المرقش إلا الوفاء بالعهد .. والإجابة لرغبة صديقه  
عمرو .. فانطلق به إلى المكان الذى كان يواعد فيه بنت العجلان فأجلس  
صديقه وانصرف .. وأخبره كيف يتصرف .. وكانا متشابهين بصورة  
شديدة التماثل .

وجاءت بنت العجلان فحملته كما تحمل مرقش .. وأدخلته على فاطمة



وصنع ما أمره به المرقش .. فلما أراد مباشرتها وجدت شعر فخذيه فاستنكرته .. فإذا به يردد .. فدفعته بقدمها في صدره وقالت :

— قبح الله سرّاً عند المعيدى !

ودعت فاطمة بنت عجلان فذهبت به خارج قصرها .. وانطلق إلى حيث يوجد المرقش .. وأدرك المرقش من هيئة صاحبه أن أمره قد افتضح فعرض إبهامه فقطعها .. وانطلق إلى أهله هائثاً على وجهه تاركاً إبله حيّاً مما صنع .. ولسان حاله يقول نذماً وحسرة :

وإني لأستحيي فطيمة جائعاً خميصاً وأستحيي فطيمة طاعماً  
وإني وإن كنت قلوبى لراجم بها وبنفسى يا فطيم المراجما  
وهى قصيدة طويلة اشتهر بها يصور فيها وفاءه لفاطمة ويبن ما أصاب قلبه يوم الفراق ليستكمل المشهد بصورة غزلية يقف فيها عند معالم جمالها المختلفة .. ثم يصف ذكرياته معها .. ثم يستعيد مشهد الرحيل والندم .  
وهو يصف فاطمة فيخلع عليها صفة الكمال .. شأن الشعراء العذريين فيما بعد الذين يرون في معشوقاتهم كل شيء كامل وناضج وحسن .  
وتحت وطأة التشاؤم والشعور بالندم والحياة والإخفاق .. يستصرخ فاطمة الصفح .. وهو لا يكاد يصفح عن نفسه هو .. ويثقل على نفسه معاقب ذاته أن باح بسره لصاحبه .



إن قصة المرقش الأصغر قصة فريدة في بابها وفي عصرها .. وتؤكد معنى مهماً من معاني العشق .. فمهما باح العاشق بأسراره .. فإن هناك منطقة من الأسرار لا يجوز له أن يبوح بها .. إنها تلك المنطقة الخاصة التي يعرف هو وحبيته تفاصيلها الدقيقة وألوانها .. وملاحظها .. ولا يعرفها غيرها ..  
ومهما بلغت الصداقة بين الأصدقاء .. فهي لا تسمح بهذا البوح الذي يلقي بالعاطفة في بثر الندم والإخفاق .

وتبقى قصة المرقش الأصغر مثلاً حياً على عقاب الذات والندم .



يزيد بن الطثرية  
عاشق اليمامة





أحبك أطراف النهار بشاشة  
وبالليل يدعوني الهوى فأجيب  
لئن أصبحت ريح المودة بيننا  
شمالا لقدما كنت وهى جنوب

يزيد

اهتم مؤرخو الأدب بهؤلاء العشاق الذين عاشوا في بادية الحجاز .. باعتبار أن هذه المنطقة أكثر ثراء في أحداثها وتاريخها .. على حين أهملوا كثيرا أحداث المناطق الأخرى .  
وقصصنا هذه لم تذكر كثيرا لأنها حدثت في بادية اليمامة .. تلك المناطق المهمة في تاريخ العرب .. لكننا هنا نتجرد من شهرة المناطق والبادى .. محاولين اكتشاف ما تحت القشور من ثراء وعطاء .. أما اليمامة فيحكى عنها القزويني في كتابه « آثار البلاد وأخبار العباد » قائلا :  
« انها ناحية بين الحجاز واليمن أحسن بلاد الله وأكثرها خيرا ونخلا وشجرا وكانت قديما منازل طسم وجديس ..  
وينسب إليها زرقاء اليمامة التي كانت ترى من مسيرة يوم وليلة والتي أنقذت قومها من خيل حمير ..  
كما ينسب إليها مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة في صدر الاسلام !  
وكعادة أهل البادية كانوا يختلفون ويتصارعون حول مناطق الكلاء والرعى .. ثم يتصاعد الصراع ليشمل الأرض والحسب والنسب .. وتكثر الثارات والعداوات .. وكان هذا شأن قومي قشير وجزم في بادية اليمامة .



وكان صاحبنا يزيد بن الصمة من قشير ، والطثرية أمه ، وهى امرأة من  
طثر أحد أحياء اليمن أو من عنز بن وائل اخوة بكر .. وكانت الطثرية  
مولعة بإخراج زبد اللبن .. فسميت بالطثرية .. وطثرة اللبن أى  
زبدته .

ويكنى يزيد أبا المكشوح فقد كان على كشحه « خاصرته » كى نار . .  
وكان يلقب بالموثقق .. لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه خاصة فى  
أذان النساء .

ومر زمان على قشير وجرم فى بلاء وحرب وصراع .. يتربص كل فريق  
بالآخر ويغيظ كل منهما الآخر فى الغزل بنسائه .. وانشاء الأشعار للليل  
منه .. يتقاتلون على المرمى والأرض .. حتى فقد الناس الأمن .. والحياة  
الهائنة .. وتمسك السماء ماءها .. وتضن الأرض بخيراتهما .. حتى أمحل  
الناس وجف الزرع والضرع .. ونفد المال من الأيدى .. واشتد  
الجوع .. وأجذبت الأرض وأشرف الناس على الهلاك .. فانطلق الناس  
يضربون فى البادية بحثا عن الرزق ..

وتسامع الناس أن السماء قد جادت على قشير .. فلم تجد جرم مفرا من  
اللاجوء إلى قشير متناسين ما بينهما من ثارات وعداوات .. وينطلق بعض  
السادة من جرم إلى سادة قشير .. ويتحدث كبيرهم :  
— لقد جئنا اليكم مستجيرين غير محارين ولا متصارعين ..

قالت قشير :

— من أى شىء تستجирون ..

قالت جرم : من الجذب والهلكة التى لم تبق لنا خيرا قط ..  
وهنا يتغلب الخلق العربى .. ويتناسى الناس عداوات الماضى .. وتنجير  
قشير جرما وتسالمهم .. وتمنحهم جانبا من أرضها الحصبة .. ويختلط  
القومان .. ويتسامران .. ويتقاربان .. ويتلاقى الشعراء ..  
بالشعراء .. والسادة بالسادة .. والكثوس بالكثوس .





كان في جرم فتى يقال له مَيَّاد .. وكان مشهورا بتغزله .. وكان حسن الوجه .. فارغ القامة .. يأخذ بقلوب النساء .

وقد هيَّاله القرب بين القومين .. أن يذهب إلى القشريات يطلب منهم الغزل والصبأ والحديث .. في غيبة الرجال واشتغالهم بالسقى والرعى ، وكان الغزل جائزا حسنا في جرم .. ومكروها في قشير ..

ولكن القشريات كن من العزة والأنفة .. فدفعنه عنهن وأسمعنه ما يكره .. ورفضن أن يجبنه على غزله .  
ويعرف رجال قشير ذلك من نسائهم الغاضبات . بل قالت عجائز منهن :

والله لا ندرى أرعيتم جرما الرعى .. أم أرعيتموهم نساءكم ؟ فاشتد ذلك على رجال قشير .. حينما عرفوا بحقيقة ما يفعله مَيَّاد .. وتجتمع قشير للتشاور في الأمر :

فقال بعضهم : عليكم أن تستأصلوا جرما من أرضنا .  
وقال آخرون : قبيح والله قوم قد سقيتموهم مياهكم .. وأرعيتموهم مراعيكم .. وخلطتموهم بأنفسكم .. وأجرتموهم .. من القحط .. أن تفعلوا معهم ذلك .. وما هذا الرجل إلا سفيه من سفهائهم .. فليأخذواهم على يديه .. فإن فعلوا .. كفونا المشقة .. وإن امتنعوا وأقروا ما كان منه .. يحل لكن ما تنوون عليه . إن امتنعوا وأقروا ما كان منه .. يحل لكن ما تنوون عليه .. ولا جناح عليكم لو تستأصلونهم .. ولاقى هذا الرأي صدى طيبا عند الجميع .. فما أن أصبحرا حتى ذهب بعضهم إلى جرم .. واجتمعوا بهم ..

قالت قشير :

— تعلمون أن الغزل لدينا مكروه .. وهو بدعة جئتم بها إلينا .. فإن كانت سجية لكم فليس لكم لدينا ارضاء ولا اسقاء .. وعليكم الرحيل



أوتحاربكم .. وإن كان افتنانا فانكروا على من فعله وازجروه .

قالت رجال من جرم :

— ماذا تقصدون .. وماذا حدث لكم ؟

قالوا : رجل منكم ظل يجر أذياله بين بيوتنا .. ولا ندرى ما يريد ..

وهنا قهقهت جرم وسخرت من جفاء قشير وعجرتها ثم قالت :

— لعلكم تحسون من نساكم ببلاء .. فهل لكم أن تبعثوا إلى بيوتنا

رجلا ورجلا ..

قالت قشير :

— والله ما نحس من بيوتنا إلا العفة والكرم .. وما البلاء إلا فيكم

أنتم .

وتأزم الموقف بين الطرفين .

فقالت جرم إذن نبعث رجلا إلى بيوتكم يا بني قشير .. إذا غدت

الرجال وخلفوا النساء .. وتبعثون رجلا إلى بيوتنا .. وتتحالف ألا يتقدم

رجل منا إلى زوجة ولا أخت ولا بنت ويخبرها بشيء .. لكي يظل ما نتفق

عليه سرا !

ونلتقى في العشية .. وقد أتى كل رجل بدليل أو علامة ممن كانت

معه .. وهكذا شأن العرب تثور العداوات على أقل الأسباب .. ومن قبل

كانت حرب البسوس .. وحرب داحس الغبراء . بلا سبب معقول ..

فماذا حدث في هذا الرهان الغريب ..

رجل من جرم يدخل إلى نساء قشير .. ورجل من قشير يدخل إلى نساء

جرم .. ومن ينجح منها في إعطاء الدليل والحجة فقد نجح في جرح عفة

النساء وكرمهن .

لقد وافق الجميع على هذا الرهان .. وتحالفوا على ما اتفقوا عليه . فلم

يخبر رجل زوجة ولا أختا ولا بنتا بما حدث .. بل تحالفوا على ألا يعودوا إلى



البيوت قبل العشية .

ويختار قوم جرم ميادا .. ليذهب إلى القشريات مرة أخرى .. ويختار  
القشريات يزيد بن الطثرية ليذهب إلى جرم .. فماذا كانت النتيجة ..  
تتوقف الأحداث لدى القومين ساعات النهار .. وكل الناس يتوقعون  
ويتوهمون .. حتى جاء الليل .

أما مياد الجرمي فقد غدا إلى القشريات .. وظل يدور بين البيوت لعل  
واحدة من نسائهم تستجيب .

وظل مرجوعا مقصيا لا يقترب من بيت إلا استقبله النساء بالحجارة  
وقطع الحديد .. وهو سعيد بما يفعلن يظن أنهن بهذا يطلبنه .. حتى  
أجهده العطش والتعب فأنصرف حتى جاء إحدى الأشجار في منتصف النهار  
فتوسد يده ونام في ظلها حتى بعد الظهيرة .

ويستيقظ مياد بعد أن أخذ راحته .. وسكن بعض مافيه من ألم الضرب  
والعطش .. ثم اقترب إلى ماء فعب منه ماشاء .

وأسرع مياد إلى القوم .. لعله يصل قبل يزيد .. فوجد أمة ترعى  
غنما .. فأخذ برقعها .. وانطلق إلى القوم .. وصاح فيهم :

— هذا برقع واحدة من نسائكم يا بني قشير ..

طرح البرقع بين أيديهم .. فأدركته الأمة صارخة وتعلقت ببرقعها  
واستردته .. فخجل مياد من فعلته خجلا شديدا ..

.....

هذا ما كان من أمر مياد مع القشريات ..

أما ما كان من أمر يزيد مع جرم .. فقد غدا إلى الجرميات وكان حسن  
الوجه رقيق الحاشية .. فاستقبلته الجرميات بأكرم استقبال .. لا يصير إلى  
واحدة منهن إلا افتتنت به أخرى وتابعته وطلبته إلى بيتها ومنحته دليلا على  
أن يعدها ألا يدخل إلى غيرها .. فيقول لها :

— وأى شيء تخافين وقد عاهدتك وليس لأحد غيرك في قلبي من



نصيب .. وظل يزيد على حاله تلك حتى ما بعد العصر .. وقد جمع من  
القشريات براقع وأساور وأقساطا وغيرها ثم قصد القوم وهو شعبان مدهونا  
مكحولا مرجل الشعر واللمة .

ويصل يزيد إلى القوم وقد غرق مياد في خجله وخيبته .. وكاد القوم أن  
ينصرفوا فنثر بين أيديهم البراقع والأساور والأمشاط وغيرها .. وقد حلف  
القوم ألا يعرف رجل شيئا لامراته إلا التقطه .

واسودت وجوه جرم .. وأمسكوا أيديهم عن مدها إلى شيء .. لكن  
قشير قالت :

— ان بيننا عهدا ومواثيق .. فمن شاء أن يخلف عهده فليمسك يده .  
وهنا بسط كل رجل يده إلى ما عرفه من الأشياء والتقطه خجلا .. لكنهم  
تفرقوا على عداوة وحرب .. قائلين :  
— هذه مكيدة يا قشير ..

فقال يزيد بن الطثرية في ذلك :

فإن شئت يا مياد زرنا وزرتم ولم تنفس الدنيا على من يصيبها  
أيذهب مياد بالباب نسوق ونسوة مياد صحيح قلوبها

وكانت سخرية صريحة من يزيد حاول مياد أن يرد عليها قائلا :  
لعمرك إن جمع بني قشير لجرم في يزيد لظالمونا  
أليس الظلم أن أباك منا وأئك في كتيبة آخرينا  
أحالفه عليك بني قشير يمين الصبر أم متخرجونا

وانصرف القومان على حرب .. وثارات .. وعداوات .. واتصلت  
الأشعار من الطرفين تعاود رسالتها .. وتدافع عن قومها .. وتهجو القبيلة  
الأخرى .. زمانا طويلا .



لكن شيئا ما هبط بيزيد .. أبعده عن هذه الحروب وأشعارها وجعله يغير مجرى أشعاره !

كان يزيد وهو يمارس رهان قومه .. ينتقل من امرأة إلى أخرى من الجرميات .. حتى بلى بعشق جارية من جرم في ذلك اليوم يقال لها : وحشية وكانت من أجمل النساء وأحسنهن .

لكن وما حدث بين قشير وجرم حال دون ذلك التواصل الذي تاق اليه يزيد .. وحاول يزيد أن يصل وحشية .. لكنه لم يستطع .  
ويبلغ به الشوق والعشق مدى كبيرا .. حتى أشرف على الموت واشتد به الجهد .. ولم يجد أمامه إلا ابن عمه خليفة بن بوزل يشكو اليه ما وصل اليه فدخل عليه وقال :

— يا ابن عمى .. لقد عشقت وحشية .. وأصابني سهمها في مقتل .. وتعلم أنى ليس لي اليها من سبيل .  
قال له : أعلم هذا يا ابن عمى .. وأرى أن التعزى أجمل .. وليس من العقل أن تقتل نفسك .. وتأثم بربك .  
قال يزيد :

— ليس لي مطمع في الحياة إلا وحشية .. فإن كنت تريد لي الحياة فاجعلنى أراها .  
قال خليفة :

— وما العمل يا يزيد .. وكيف الحيلة .  
قال يزيد : تحملنى اليها يا ابن عمى .  
فحملة خليفة .. وأوممه أنه ذاهب إلى وحشية .. فقد كان من الصعب أن يصل اليها في قومها ..

ويذهب عقل يزيد .. ويغيب عن وعيه كثيرا .. فيذكرون له وحشية



فيفيق على اسمها .. ويتخلله الأمل في لقائها .. ثم ما يلبث أن يشتد به  
الوجع ويصيبه اليأس .

وظلا على تلك الحال من قوم إلى قوم .. حتى بلغا بعد زمن طويل حى  
وحشية .. وهناك لقيام رعاة الحى .. وأخذتا يتقصبان .. ويسألان عن راعى  
وحشية .

ويلقى خليفة غلام وحشية وغنمها .. ويقوده إلى يزيد .. ويسأله  
يزيد :

ما حال وحشية ؟

فبرد غلامها : هى والله ليست بخير .. لا حفظ الله بنى قشير ولا بارك  
الله يوم رأيناها .. انها والله غليظة منذ رأيناها .

فقال خليفة : ويحك يا أخى .. ان هنا رجلا يستطيع أن يداويناها  
فأخبرها بهذا ولا تخبر أحدا غيرها .. ووعدهم الراعى أن يفكر ..  
حتى إذا جن الليل .. انحدر الراعى بغنمه حتى استقرت فى منامها ..  
وصحب يزيد إلى حيث توجد الشياه .. حيث توجد الشياه .. وأعطاه  
الراعى فروة شاة سوداء فلبسها يزيد وسار على أربع إلى حيث توجد  
وحشية .. وكأنه إحدى الشياه ..

وكان لقاء من العشق المجنون بين وحشية ويزيد .. سرت به سرورا  
شديدا .. وأدخلته سترها .. وجمعت عليه فى الصباح من ثقب به من  
صويحاتها وأترابها .

وكان يزيد وخليفة قد تعاهدا على أن يذهب يزيد إلى وحشية ويظل  
خليفة فى الجبل البعيد ثلاث ليال .. فإن لم يعد يزيد ينصرف خليفة تاركا  
إياه عند وحشية .

ويقيم يزيد ثلاث ليال عند وحشية .. يعود فيها إلى كامل عافيته ثم  
انصرف من عندها إلى حيث يوجد ابن عمه .. فلقى وهو سعيد بما أصبح  
عليه من العافية والسرور .. وطيب النفس .. ويسأله ابن عمه :



ما أخبرارك يا يزيد :

يجيب يزيد :

لو أنك شاهدت الصبا يا ابن بوزل  
لشاهدت لها بعد شحط من النوى  
ويوما كلما القطاة مزينا  
بنفسى من لو مر برد بنانه  
ومن هابنى فى كل أمر وهبته  
بفرع الغضى إذ راجعتنى غياطله  
على سخط الأعداء حلو شمائله  
لعينى ضحاه .. غالبا لى باطله  
على كبدى كانت شفاء أنامله  
فلا هو يعطينى ولا أنا سائلة

ويظل يزيد يعيش على تلك الليالى الجميلة التى قضاها مع وحشية ..  
وكلما اشتاق إليها أكثر .. احتال على رؤيتها ووصلها .. أو أرسل إليها  
بأشعاره ..

أحبك أطراف النهار بشاشة  
لئن أصبحت ريح المودة بيننا  
وبالليل يدعونى الهوى فأجيب  
شمالا لقدما كنت وهى جنوب

وكانت وحشية تجيبه بقولها :  
أحبك حب اليأس إن نفع الحيا  
وإن لم يكن لى من هواك طيب

ويعيش يزيد فى ظل هذا العشق المجنون لا يميل إلى الحروب  
والبغضاء .. ولكنه يخترق هذه الظلمة الكثيفة بهذا الضوء الساطع من  
الصدق والشعر والجنون والوفاء لوحشية ..

والقصة على ما يبدو فيها من طرافة وعذوبة .. تروى بأكثر من رواية  
وفيهما من المتناقضات ما يجعل حدوثها أمرا غير منطقي .. وإن دلت على  
طبيعة الحياة البدوية .. وعلى ألوان العيش التى يعيشها البدوى .. وعلى



تلك العلاقات بين الرجال والنساء التي تصل إلى درجة الاختلاط . . بل  
الرهان على شرف النساء .  
وفي الوقت نفسه . . تضع العداوة بين القبيلتين مجرد اللجوء إلى القبيلة  
التي يكثر فيها الخير والخصب .  
أما ما كان من عشق يزيد . . فقد نجده يختلف عن مجانين العذريين  
أو المتيمين لأنه يصل إلى معشوقته - ولو عن طريق الحيلة - أما هم فإن  
جنونهم كان نتيجة عدم تحقيق هذا التواصل .  
ومع كل هذا فهي نموذج لأحدى قصص العشق الجاهلية التي لا يلتفت  
إليها المؤرخون كثيرا بالرغم من طرافتها واختلافها .







المخبّل وميلاء





فلو أن أم العَمر أضحت مقيمةً

بمصر وجُثماني بِشحر عُمان

إذاً لرجوت الله يجمع شملنا

فإننا على ما كان ملتقيان

المخبَّل القيسى

في إطار ما نسوقه من قصص العشق . . نحاول قدر الاستطاعة أن نقدم تلك القصص التي لا تتكرر كثيراً . . والتي تختلف ولو قليلاً عن غيرها قصد التنوع . . ومن هذه القصص تلك التي نرويها الآن لشاعر عاشق من قيس يقال له : كعب ويلقب بالمخبَّل القيسى .

وهو عبدالله بن أبي سعد الوراق . . وكان قد خطب ابنة عمه ودخل بها . . وأنجب منها ولداً .

وكان لزوجته أخت أجمل منها وأكثر حسناً ورقة يقال لها ميلاء . . وذات مساء . . خلا كعب بزوجته وكان شارد البال . . فسألته: ماذا بك يا أخي ؟ قال كعب : يا أم عمر . . هل ترين أن الله عز وجل خلق أحسن منك ؟

قالت لزوجته وهي لا تلوى على شيء :

— نعم . . أختي ميلاء . . أحسن مني . . وأجمل !

قال كعب : أراني أحب أن أنظر إليها . .

فقالت : ان هي أدركت قصدك . . لن تخرج إليك . . ولكن قف هنا وراء الستر .

ففعل . . وأرسلت إلى أختها فجاءتها . . فلما نظر إليها كعب عشقها من النظرة الأولى . . وصدق ما قيل عنها .



ومكث قليلا .. ثم خرج .. واعترض طريق ميلاء وهي عائدة إلى أهلها وصارحها بحبه لها .  
فقالت : والله يا ابن العم ما وجدت من شيء إلا وقد وقع لك في قلبي أكثر منه .

قال : إذن عديني باللقاء .. وأعدك بالعشق والشعر .  
وواعدته باللقاء .

وحدث أن فاجأتها أم عمرو وهما يجلسان في صفاء .. فمضت إلى إخوتها السبعة وأخبرتهم بخبر كعب وميلاء .  
واجتمع أمر الإخوة على أن يستنكروا ما يحدث .  
وتصرخ أم عمرو : إما أن تزوجوا ميلاء كعبا .. وإما أن تكفوني أمرها .. ويوافق الاخوة على أن الأمر خطير .. ويبلغ ميلاء الخبر .  
أما كعب .. فحينما بلغه ذلك أسرع بالرحيل إلى الشام حياء من اخوة زوجته .. وكان يقطن الحجاز مع قومه .. فلم يدر أهله ولا بنو عمه أين ذهب .. وفي ذلك يقول كعب :

أفى كل يوم أنت من لاعج الهوى      إلى الشم من أعلام ميلاء ناظر  
بعمشاء من طول البكاء كأنما      بها خرز أو طرفها متحازر  
تمنى المنى حتى إذا قلت المنى      جرى واكف من دمعها متبادر

ويصل كعب إلى الشام .. ويهبط عند صديق له .. ويروى عنه ما يقول :

وكان هذا الصديق يتجه إلى الحجاز حيث أهل كعب .. فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء وهو لا يعرفهما .. وسألها عن الطريق إلى مكة ..  
فقالت أم عمرو :  
— يا ميلاء .. صفى له الطريق .



فتذكر الرجل شعر كعب حينما سمع اسم ميلاء .. فأنشده .. فأقبلت  
عليه أم عمر وقالت : يا عبدالله .. من أين أتيت .  
قال : أقبلت من الشام .  
قالت : ولئن هذا الشعر .  
قال : لأعرابي بالشام يقال له كعب .  
فأقسمت عليه لا يبرح حتى يرى اخوتها .. ويعرفوا ذلك .  
فقال لها : اننى أروى عنه شعرا آخر ياسيدى .  
فسأله أن يسمعها ما يحفظ فقال :

من الناس إنسانان دينى عليهما	مليان لولا الناس قد قضيانى
خليلى أما أم عمرو فمنهما	وأما عن الأخرى فلا تسلاى
بلىنا بهجران ولم أر مثلنا	من الناس إنسانين بهجران
أشد مصفاة وأبعد عن قلى	وأعصى لواش حين يكتفیان
تحدث طرفانا بما فى صدورنا	إذا برمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما أدرى أكل ذوى الهوى	على ما بنا .. أونحن مبتليان
فلا تعجبا عما بى اليوم من هوى	فبى كل يوم مثل ما تريان

ويلتقى الرجل باخوة أم عمرو .. وكانوا قلقين على مصير كعب فهو  
أيضا ابن عمهم .. وكان كعب أظرفهم وأشعرهم .. فأكرموا الرجل  
وحملوه على راحلة ودلوه على الطريق إلى مكة ..  
ورحل الإخوة إلى حيث يكون كعب بالشام .. لكن حدث شئ عكر  
صفو الرحلة .. لقد اقتربوا من نبع ماء يشربون .. وكان كعب أيضا  
يزاحم على الماء .. فزحه غلام منهم فقال له كعب : يحك يا غلام .. من  
أبوك !

فقال : رجل يقال له كعب .

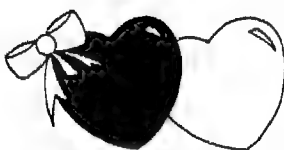


قال : وعلى أى شىء يجتمع الناس هناك .  
قال اجتمعوا على خالتي .  
قال وما قصتها .  
قال الغلام : ماتت .  
فأدرك كعب أن هذا ولده .. وأن خالته هى ميلاء .. فزفر زفرة مات  
منها مكانه .  
ويقبل عليه الاخوة .. فيدفنونه معها فى قبرين متجاورين ..  
ويلتف بعض القوم .. ليعرفوا قصة هذا العاشق الهارب .. وكانوا قد  
رووا عنه أشعارا كثيرة منها :

أحقا عباد الله أن لست ماشيا	بمרחاب حتى يحشر الثقلان
ولا لاهيا يوما إلى الليل كله	بيض لطيفات الخصور روائى
فلو أن أم العمر أضحت مقيمة	بمصر وجثمانى بشحر عمان
إذا لرجوت الله يجمع شملنا	فإننا على ماكان ملتقيان

هذه هى قصة عاشق هارب من عاطفتين صادقيتين .. زوجته أم  
ولده .. وأختها الحسناء ميلاء .  
وإنها والله لتضيف ملمحا مختلفا إلى ساحة العشق المجنون .





ابن العجلان  
عاشق زوجته







فارت هندا طائعا  
فندمت عند فراقها  
فالعين تذرف دمعة  
كالدرد من مآقها  
ابن العجلان

١

ربما تختلف عاطفة الحب من حالة وجدانية إلى أخرى .. وربما تلتهب هذه العاطفة كلما كثرت وعظمت العقبات بين العاشقين .. وبالتالي يقل هذا الالتهاب كلما وجد العاشق معشوقته كيفما شاء .. دون جهد أو نصب .

والشعر حينما يكون لسان حال العاشق .. فإنه لا يكف عن ترجمة تلك الحال التي عليها العاشق .. ولا شك أنها تتغير من الصد إلى اللقاء إلى الوداع إلى الهجر إلى العناق إلى الشقاق !

وقد ينتهي بعض المتفلسفين إلى أن العاشقين يظنان على عشقهما كلما كان كل منهما صعب المنال على الآخر .. حتى إذا انتهت هذه العاطفة بالزواج أخذت في الخفوت والخمود إلى أن تنطفئ .. وتظل الذكرى هي التي تضمن لهما حياة مستقرة .

وقصص العشق غالبا لا تنتهي بالزواج .. ولهذا فإنها قصص حافلة بالصدق والحنين والبكاء والأسى .. فتخرج ما يشعر به المحب داخله .. حتى يبلغ به درجة الجنون .



وقصتنا اليوم .. تخالف كل هذه الظنون .. حيث تحكى عشق زوج  
لزوجته .. وكيف أصبح متيا بها .. بالرغم مما أحاطهما من القيود  
والصعاب .

وبطل هذه القصة هو عبدالله بن العجلان الأحب بن عامر بن فهد ..  
أحد الشعراء الجاهليين المقيمين .. بل هو أحد شهداء العشق العربي ..  
وكان عبدالله وحيد والديه .. والعرب كانت تدلل مثل هذا الوحيد  
ولهذا أقطعته أبوه كثيرا من الخير .. فتاه على أقرانه فى نهد .  
وذات يوم مر على نهر غسان .. فرأى جمعا من بنات العرب يغتسلن فى  
النهر . فنزل عن دابته .. وجلس على حافة النهر يملأ عينيه من هذا المشهد  
الجميل .

ولأن الشاعر بطبيعته متأمل .. فقد أخذ يتنقل ببصره وعقله بين هذه  
وتلك حتى وقعت عيناه على هند وهى تمشط شعرها وتسبله على بدنها .  
وتسمرت عيناه ليتأمل هذا الجمال الالهى .. الذى وهبها شفافية فى  
بياض جسمها .. وسوادا فى شعرها المنسدل .. وتمنى لحظتها لو كان رساما  
يصور هذا الجمال فى لوحة .. لكنه ظل يتأمل حتى أصابه الحب بسهمه ..  
فلم يستطع أن يفلت منه طوال حياته .  
وتخرج هند من الماء .. فتفاجأ بهذا الفتى وقد أقام حولها حصارا من  
العشق المبالغ .

ويلتقيان .. ويتواعدان مرة .. ومرة .. ويشتد بهما العشق .. فينطلق  
عبدالله إلى أبى هند ليخطبها .

وكان عبدالله سيدا فى قومه « فهد » وابن سيد من ساداتها .. وكان أبوه  
أكثر بنى نهد مالا .. فلما تقدم إلى أبى هند أجيب وتزوج هنداً .. وأقيمت  
الليالى .. وزبحت الذبائح .. وسعد الفتى بفتاته .



ولأن العرب ينظرون إلى أولادهم باعتبارهم خلفاء لهم في السيادة والمال .. فهم يتشاءمون من المرأة العاقر .. ويدفعهم ذلك إما لتطليقها وإما إلى الزواج عليها .

وكانت هند عاقراً .. لا تلد .. ظلت مع عبدالله سنين سبعة أو ثمانية لا ترزق بمولود .

ولم يكن عبدالله يقيم لهذا وزناً .. بل على العكس تماماً كان يزداد بها عشقاً وهياماً .. وكان كلما حدثوه في ذلك تمسك أكثر بها وازاد بها ولها .. ولكن والده أصابه الأسى وطالب ولده أن يطلقها .. أرسل اليه يوماً وباده :

— يا ولدى أنت وحيدى .. وأملى فيك أن يكرن لك ولد يرثك في مالك وحسبك ونسبك ..

قال عبدالله : يا أبى .. هذا أمر الله .. وحسى أنى أحيا هائثاً مع هند ..

قال أبوه : إنها امرأة عاقر يا ولدى .. وقد مكثت معها سنوات طوالاً وهى لا تلد .. ومن حقت أن تطلقها وتتزوج غيرها .

قال عبدالله في حزم : لن أفعل هذا يا أبت . هنا صباح أبوه بكل ما ملك من سلطة أبوية :

— إذا لم تفعل .. فهذا فراق بينى وبينك . لن أكلمك أبداً حتى تطلقها .. ولن أمنحك من مالى شيئاً .. حتى تفعل .

قال عبدالله : لك ما تريد يا أبتى .. لكننى لن أطلقها .. ولن أجد فى بنات العرب من تعوضنى عنها .

كان عبدالله حاسماً فى حوارهِ مع أبيه .. وكان يستند إلى هذا العشق الجارف الذى ربط بينه وبين زوجته . فأنجب لها هذه السنوات الثماني

من السعادة والهناء .



لكن أباه لم يسترح إلى ما انتهى إليه أمر ولده معه .. انه ينتظر الفرصة  
السانحة لإرغامه على ترك زوجته .  
لقد أرسل أبوه أعوانه في أثره .. يراقبونه .. ويعرفون متى يصحو ومتى  
ينام .. ومتى يسكر حتى الثمالة .. ومتى يفيق .  
ماذا يريد هذا الأب من ولده .. ولماذا يطبق عليه هذا الحصار .. لقد  
أحسَّ عبدالله بكل هذا وأحست هند .. لكنها تملا كل شيء وكان  
جنون العشق بينها أقوى من كل حصار .

## ٢

ويوما كان الأب جالسا مع سادات قومه .. فيدخل عليه من يبلغه أن  
ولده عبدالله قد سكر حتى الثمالة عند هند ..  
وعلى الفور أرسل إليه من يطلبه .  
لكن هندا تتوجس من هذا الطلب .. فتبادر زوجها :  
— لا تذهب إلى أبيك يا عبدالله حتى تفيق .. فوالله قلبي يحدثني أنه  
لا يريد لك خيرا الساعة .  
قال لها عبدالله وهو في سكره :  
— ماذا يستطيع أن يفعل بي هذا الرجل ؟  
قالت هند : لقد بلغه أنك سكران فطمع فيك أن يقسم عليك  
فتطلقني .. فتم مكانك .. ولا تغض .  
وأخذته العزة .. والتحدى فعصاها وأبى أن يمكث في البيت ..  
فأقسمت عليه .. فأخذ يضحك ويضحك :  
— أتريدون أن يقولوا عني .. لقد خشى عبدالله أن يواجه أباه ..  
أتركيه يا امرأة .. لا أحب أن أكون ضعيفا خائرا أمام الناس . فتعلقت



هند بثوب عبدالله فضربها بمسواك كان في يده .. وألقاها أرضا . وكانت  
يدها فيها زعفران .. فآثر في ثوبه مكان يدها .. لكنه انطلق كالسهم إلى  
حيث أبوه ..

ويدخل عبدالله على أبيه .. فيجده بين سادة قومه وفتيان قبيلته ..  
ترحب به وأجلسه جانبه .. وهو لا يزال في سكره ..  
ثم أخذ يؤنبه ويلومه على حاله .. وأخذ القوم الحضور يلومونه كذلك  
ويناوشونه ..

قال أحدهم : ما شهدنا رجلا عشق زوجته كل هذا العشق وهي لا تأتى  
له بماتقر به عينه من الولد .

وقال آخر : أى شغف هذا الذى تغرق فيه يا ابن العجلان .. أليست .  
هند واحدة من بنات العرب .. لكنها امرأة ناقصة .

وقال ثالث : ما شهدنا رجلاً أضعف قلباً أمام امرأة مثلك .. أين أنت  
من الفتيان الذين لهم القلب الصخر .. والحزم القوى .

ولم يكن عبدالله يحير جواباً .. بل كان كلما حاول أن يرد .. بادره  
أحدهم بلوم جديد .. وبوخز يصل إلى عمق القلب .. حتى انتهى  
المجلس به إلى الموافقة على تطليقها .

وحتى تتم اللعبة .. انطلق به الفتيان ليلتها إلى الخلاء .. فأخذوا  
يتسامرون ويشربون حتى الصباح .

ويرسل الأب من يخبر هنداً فى الصباح بأن زوجها قد طلقها وعليها أن  
تعود إلى بيت أبيها .





٤

ويعود عبدالله إلى نفسه .. ويفيق من هذا الكابوس اللعين .. لقد تم كل شيء كما أراد أبوه .. وقد فقد هندا إلى الأبد .. ماذا يفعل بهذه السنوات الماضية التي ملأته سعادة وحلما ووفاء ، لك الله يا عبدالله !  
ولعن الله السكر . والعناد !  
ماذا يبقى له ؟

لقد شعر عبدالله بجسامة الخطأ الذي ارتكبه في حق هند وفي حق نفسه أيضا .. لكن لا حيلة له ..  
أخذ يأسف على ما فعل .. ويبكى :  
ألا أبلغا هندا سلاما وأن نأت فقلبي بها مذ شطت الدار مدنف  
ولم أر هندا بعد موقف ساعة بأنعم في أهل الديار تطوف  
ويشرب كأسه حتى الثمالة لينشد مرة أخرى :

إلا إن هندا أصبحت منك محرما وأصبحت من أدنى حموتها حما  
فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوسا وأسهما  
ويأتيه رفاقه لعلهم يسرون عنه كآبته وحزنه .. لكنه لا يكف عن الأسى  
والشعر :

أما هند فقد عادت إلى أبيها مقهورة يائسة .. فتلقاها أبوها .. وجفف دموعها .. وخفف عنها أساها وحزنها .. ثم قال لها :  
— لا عليك يا هند .. سأزوجك بن هو أفضل من ابن العجلان ! ..  
لك الله أيضا يا هند .. أى أسى حل بك بعد هذه السنوات السعيدة التي  
عشتها مع ابن العجلان ..

لم تمض أيام على عودة هند .. حتى خطبها رجل من بنى عُمر ..  
ذو حسب ونسب ومال يفضل ابن العجلان .. فزوجها أبوها منه ..  
وأقيمت الأفراح في بيت أبيها .. ثم رحلت هند مع زوجها إلى قومه بنى



نمير .

٥

ويظل عبدالله بن العجلان سقيماً مشرداً بعد رحيل هند وزواجها من غيره . . ولم يكن يملك الاتصال بها لما كان بين هند - قبيلته - ونمير - قبيلة زوج هند من ثارات وعداوات وحروب .  
وكثيراً ما كانت الصراعات تقوم بين القومين وتظل زمناً طويلاً يحرم فيه على أى القومين الاتصال بالآخر .

وحدث أن جمعت هند لبني نمير جمعاً فأغارت على طوائف منهم وفيهم بنو العجلان . . وبنو الوحيد . . وبنو قشير . . وغيرهم . . ويظل القتال معلناً ويظل الفتيان وقوداً في هذه الحرب لزمان طويل . . حتى انهزمت بنو نمير . . وغنمت بنو هند أموالهم . . وقتل في الحرب من قتل من الطرفين . .

وفي ذلك يقول ابن العجلان :

ألا أبلغ بنى العجلان عنى      فلا ينبيك بالحدثان غيرى  
بأنا قد قتلنا الخير قرطاً      وجلنا فى سراة بنى نمير  
وأفلتنا بنوشكل رجلاً      حفاة يربثون على سُمير

وكان عبدالله قد أسر رجلاً من بنى الوحيد فمن عليه وأطلقه ووعدته الوحيدى بالوفاء له . . فلم يف . . فقال عبدالله :

وقالوا لن تنال الدهر فقراً      إذا شكرتك نعمتك الوحيد  
فيا ندماً ندمت على رزام      ومخلعه كما خلعت العتود

ويعرض على عبدالله فتيات الحى جميعاً فلم يقبل واحدة منهن . .



فلا يزال عشق هند يمتلك عليه قلبه ويصيبه بالجنون .  
وكان يرد على من يعرض عليه أية فتاة تعوضه عن هند :

فأرقت هنداً طائعا	فندمت عند فراقها
فالعين تذرى دمة	كالدّر من آماقها
متحلبا فوق الرداء	يجول من رقرقاها
خود رداح طفلة	ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألدّ حديثها	وأسرّ عند عناقها

ثم يرفع صوته وكأنّ هنداً تصغى اليه :

إن كنت ساقية ببز	لِ الأدم أو بحقاها
فاسقى بنى فهد .. إذا	شربوا خيار زقاقها
فالخيل تعلم كيف نلحقها	غداة لحاقها
بأسنة زرق صحننا	القوم .. حدّ رقاقها
حتى نرى قصد القنا	والبيض في أعناقها

ويبلغ هذا الشعر هنداً فيتوفد قلبها جنونا .. ويشعل حنينها وولها ..  
لكن هل من لقاء بين عاشقين .. ينتمى كل منها إلى عداوة وحروب  
وبغضاء .. لقد كسبت هند حرباً مع بنى نمير .. لكن بنى نمير لم تنس هذه  
الهزيمة .. فقد جمعت فرسانها مرة أخرى .. لكي ترد على هند هزيمة  
بهزيمة ..

وتعلم هند من زوجها ما عزم عليه القوم .. فأخذت تحدث نفسها :  
— كيف أرتضى بهزيمة قومي بنى هند .. صحيح أنني أنتمى الآن إلى  
بنى نمير قوم زوجى .. لكن في هند أبى وأمى وأخوتى .. وأسرتى كلها .  
وتنهدت هند قليلاً ثم أكملت :





— وفي نهد كذلك عبدالله !!  
 وتاملت الأمر .. وأخذت توازن بين كثير من الأمور .. وأخيرا  
 استدعت غلاما فقيرا من بني ثمير وقالت له :  
 — هل لك في خمس عشرة ناقة على أن تفعل ما أمرك به ..  
 ويفرح الغلام بهذا العطاء السخي .. ويسألها عن مطلبها فقالت :  
 — تنطلق إلى قومي فتندرهم قبل أن يصلهم بنو ثمير .  
 ولم يتردد الغلام .. فهناك خمس عشرة ناقة في انتظاره ..  
 ومنحته ناقة لزوجها يركبها .. وزودته قمرا ووطبا من لبن .. فركب  
 الغلام وجد في السير .. حتى نفذ اللبن وأحس العطش ..  
 ويصل الغلام إلى بني نهد وقد ييس لسانه من العطش .. فلما كلموه لم  
 يستطع أن يجيبهم وأشار إلى لسانه .. فأمر خراش بن عبدالله بلين وسمن  
 دافئين .. وسقاه .. فابتل لسانه .. وتكلم قائلا :  
 — أنا رسول هند إليكم .. أتيتكم لأنذركم بقدوم بني ثمير محاربين ..  
 وتجتمع بنو نهد وتستعد للقاء بني ثمير .. فلما اقتتلا انهزمت بنو ثمير هزيمة  
 ساحقة أنشد على أثرها ابن العجلان :

ألم تأت هنداً كيفما صنع قومها	بني عامر إذ جاء يسعى نذيرها
فقالوا لنا إنا نحب لقاءكم	وإنا نحى أرضكم ونزورها
فقلنا إذا لا ننكل الدهر عنكم	بصم القنا اللائى الدماء غيرها
فدوقوا على ما كان من فرط إحنه	حلاثنا إذ غاب عنا نصيرها





٦

ويشتد السقم بعبد الله .. وتزداد نار العشق اشتعالا في قلبه .. يريد أن يذهب إلى حيث هند .. لكن تلك الإحن التي ثارت بين القومين تحرم هذا اللقاء .. بل تجعله مستحيلا .

لم يجد عبد الله مفرًا من الخروج والمخاطرة .. فهو لا يجد في بقائه بين قومه إلا السقم والموت .. ولو خرج .. فهو معرض أيضا للموت .. لكنه موت كموت الشهداء .. فليكن شهيد العشق .. شهيد هند .

غافل عبد الله أباه وقومه .. وخرج سرا مخاطرا بنفسه حتى أتى أرض بني نير .. لا يهرب ما بينهم من الشر والبغضاء .

ويقصد خباء هند .. وقد أهلكه السفر .. وأخذ منه التعب كل مأخذ .. ويرى عبد الله هنذا جالسة على الحوض .. وزوجها يسقى إبله بالقرب منها .. فلما نظر إليها .. ونظرت إليه .. رمى بنفسه عن بعيره .. وأقبل عليها كالمجنون الطائش .. فأقبلت هي أيضا عليه كالمجنونة الطائشة .. وعانق كل منهما الآخر .. وأخذا ييكيان وينشجان ويشهقان كثيرا وزوج هند ينظر إليهما في دهشة وعجب .. غير مصدق عينيه .. ويظل العاشقان في بحر دموعهما الدافئ حتى سقطا على وجهيهما بلا حراك .

ويسرع زوج هند .. لينظر ما انتهى إليه حالهما .. فوجدهما ميتين .. ويدفن العاشقان في قبر واحد .. بعد أن سطرا واحدة من قصص العشق .. كتب على بطليها الموت عشقا .. وجنونا .





عبد الله بن علقمة  
وصاحبه حيش





وإن يقتلون يا حُبَيْش فلم يَدَعِ  
هواك لهم منى سوى غُلَّةِ الصدرِ  
وأنتِ التي أخليتِ لحمي من دمي  
وعظمي وأسبلتِ الدموعَ على نحرِي  
عبد الله بن علقمة

ربما وقع اختيارنا على هذه القصة لقدمها تاريخياً . . ولاختلاف في  
تفاصيلها عن غيرها من القصص . . بالرغم من قيام عاطفة حب قوية بين  
بطلها .

أما رجلها العاشق . . فهو عبد الله بن علقمة . . وهو واحد من فتيان  
بني عامر بن عبد مناة بن كنانة . . وأحد فرسانها .  
وتبدأ خيوط القصة منذ كان غلاماً على مشارف النضج . . دون  
المحتلم .

فقد صحب أمه مرة لتزور إحدى جاراتها . . وكانت لهذه الجارة بنت  
حسناء يقال لها حُبَيْشة بنت حُبَيْش أحد بني عامر كذلك . . وكانت في مثل  
سنه .

وتدخل الأم بولدها على جارتها وابنتها حبيشة . . فيراها ابن علقمة . .  
فأعجبته ووقعت في نفسه . . وظل طوال الوقت لا يرفع عنها عينيه .  
ويرى الفتى أن يعود إلى نفسه قليلاً . . فيترك أمه لدى جارتها  
وينصرف . . وتظل الأم في ضيافة جارتها يومين .

ثم يذهب عبد الله ليرجع أمه من عند جارتها . . وهناك وجد حبيشة قد  
تزينت لأمر كان في الحى . . فهم بها وازداد بها ولها . . وانصرف بأمه عائداً



تحت وأبل من المطر .. لم يشعر بوخزه .. وفي ذلك يقول :

وما أدرى بلى إني لأدرى أصوبُ القطر أحسن أم حُبَيْشُ  
حبيشةُ والذي خلق الهدايا وما عن بعدها للصب عيشُ

ويتسلل إلى سمع أمه ما يقوله ولدها .. لكنها تعمدت أن تتغافل حتى  
وصلا إلى ربوة من الأرض .. وفوقها ظبي .. فقال :

يا أمتا أخبريني غيرَ كاذبةٍ وما يريد مسؤلُ الحق بالكذبِ  
أتلك أحسن أم ظبيُّ برابيةٍ لا بل حبيشةُ في عيني وفي أَرَبِ

ولم تستطع الأم أن تتغافل هذه المرة .. ولا بد لها أن تحجب ..  
لقد زجرته أمه وقالت له :

— مالك وبنت جارق .. إن لك بنت عمك .. فهي أجمل من  
تلك .

وبصمت الفتى .. فقد كان صغيراً على مشارف النضج .  
وببيت الفتى ساهراً لا يقر له قرار .

وفي صباح اليوم التالي .. أسرع أمه إلى امرأة عمه وقالت لها :  
— زيني ابنتك لعبد الله .

وما هي إلا أيام .. حتى تم كل شيء .. وأدخلتها عليه .. فلما رآها  
عبدالله أطرق واكتأب .. فقالت له أمه :

— ماذا ترى .. أيهما الآن أحسن .  
فقال والدمع في عينيه :

إذا غيب عني حبيشةُ مرةً من الدهر لم أملك عزاءً ولا صبراً



وتغافلت أمه هذه المرة كأنها لم تسمع شيئاً .. وانصرفت .  
وتحكى القصة أن عبدالله لم ينصرف عن عشقه بحبيشة .. بل ظل  
يراسلها وتراسله حتى أحبته كما يحبها .  
ويا لسعادة الفتاة حينما يعشقها شاعر .. لتظل خالدة في شعره ..  
ويا لقسوة قومها حينما يرون أن هذه فضيحة يحل دم قائلها .. وتحرم هى  
عليه .  
لقد كانت حبيشة تجتمع بصديقاتها لتخبرهن بما يقول فيها عبدالله :

حبيشة هل جدى وجدك جامعٌ بشمليكم شملى وأهلكم أهلى  
وهل أنا ملتفتٌ بشوبك مرةً بصحراء بين الأليتين إلى النخل  
وهل أشتفى من ريق ثغرك مرةً كراحٍ ومسكٍ خالطاً ضرب النحل

وتشى واحدة من صديقاتها إلى أهلها .. فيثورون .. ويحبونها عنه  
مدة .. وهو يزداد لهاً وغراماً .. ويكثر في قول الشعر .  
ويجيئها عتاة القوم مرةً ويطلبون منها أمراً عسيراً .  
— قابليه في موضع كذا .. فإذا أتاك .. قولى له : نشدتك الله إن كنت  
أحببتنى .. فوالله ما على الأرض أبغض إلى منك .  
ويصحبونها حتى موضع اللقاء ويختفون على مرمى ومسمع .  
ويقبل عبدالله لوعدها .. فلما دنا منها دمعت عينها والتفتت حيث قومها  
جلوس يستمعون وينظرون .. فأدرك الأمر .. وعاد .  
ثم بلغه ما قالوا لها أن تقوله .. فأنشأ يقول :

لو قلت ما قالوا لزدت جوى بكم على أنه لم يبق سترٌ ولا صبرٌ  
ولم يك حبى عن نوالٍ بذلته فيسلىنى عنه التجهم والهجرُ  
وما أنس م الأشياء لا أنس دمعها ونظرتها حتى يغيبنى القبرُ



ويظل عبد الله على وفائه وعشقه المخلص لا يحيد .. ويظل شعره يتقاطر  
صافيا .. ليصل إلى قلبها عذبا .. لا شائبة فيه .  
وتشاء الأقدار أن تقترن السياسة بالعشق .. ويكون عبدالله واحداً من  
رجال هذه اللعبة .

فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني عامر بن  
عبد مناة يدعوهم إلى الإسلام .. فإن أجابوه .. وإلا قاتلهم .  
وهنا تختلف الروايات .. حول ما إذا كان النبي الكريم أمر خالداً بأن  
يدعوهم إلى الاسلام ولم يأمره بقتال .. أم أنه أمره بقتال .  
وكان العرب لا ينسون ثاراتهم وعداوتهم القديمة .. ولهذا ثار بين  
الفريقين قتال ليس على دعوة الاسلام وإنما على ثارات قديمة .  
وكان عبد الله في صفوف قومه .. وكان منك القوى .. ناضل  
الجسم .. فأخذ جيش المسلمين وربطوه بحبل لكي يقتلوه .. فقال لهم  
عبدالله :

— هل لكم في خير .

قالوا : وما هو .

قال : تدركون بي هودجاً يمشى أسفل الوادي ثم تقتلونني ..

قالوا : نفعل .

فخرجوا به حتى وصلوا الهودج .. فصاح عبدالله :

— اسلمي يا حُبِيش .. عند نفاد العيش .

فتوقفت حُبِيش وقالت : وأنت يا عبدالله .. اسلم على كثرة الأعداء ..

وشدة البلاء .

فقال : سلام عليك دهرأ .. وإن بقيت عصرا .

قالت : وأنت .. سلام عليك عشرا .. وشفعاً تترى .. وثلاثا

وترا .





فقال :

وإن يقتلوني يا حبيش فلم يدع  
وأنت التي أخليت لحمي من دمي

فقلت له :

ونحن بكينا من فراقك مرة  
وأنت - فلا تبعد فنعم فتي الهوى

فقال لها :

أريتك إن طالبتكم فوجدتكم  
ألم يك حقاً أن ينول عاشق

فقلت : بلى والله .. فقال :

فلا ذنب لي إذ قلت إذ نحن جيرة  
أثيبي بود قبل أن تشحط النوى

وأخذوا يكيان ويكيان .

ثم أقبلوا عليه وضربوا عنقه .. فتفحمت حبيشة وهبطت من خدرها  
حتى أتت نحوه فالتقمت فاه .. فنزعوا منها رأسه .. وأخذت تضرب  
نفسها حتى ماتت مكانها .

ويفلت من القوم فتي إلى حيث يوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ليخبره بما حدث من سرية خالد .. فتأسى لذلك .. وأنكر على خالد  
ما فعل .. وأرسل عليا إلى القوم بإبل ومال .. حتى رضوا .

وتنتهى حياة البطلين العاشقين نهاية مأساوية حزينة .. يغضب لها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه . ومن حوله من المسلمين .. ويعاتب  
فيها خالد بن الوليد !





مرة بن عبد الله  
ومعشوقته ليلي





وما كنت أخشى أن تصير بمرة  
من الدهر ليلي زوجة لإران  
لقد بُليت ليلي بشر بليّة  
وقد انزلت ليلي بدار هوان  
مرة بن عبد الله

ترى ما هذا البلاء الذى رآه هذا العاشق يحل بليلى .  
أما هذا العاشق فهو مرة بن عبد الله بن هليل بن يسار . . أحد بنى هلال  
بن عُصم بن نصر بن مازن بن خزيمه بن نهد .  
وهو شاعر مقل . . لكنه أوقف شعره على عشقه ليلي .  
وأما هى . . فهى فتاة حسناء من قومه يقال لها : ليلي بنت زهير بن يزيد  
بن خالد بن عمرو بن سلمة .  
وكانا أولاد عم . . أى أن عشقهما فى إطار التقاليد العربية . . ولكن  
يبدو أن مرة قد أوقع نفسه فى المحذور حين نطق لسانه شعراً فى ليلي بنت  
عمه .

لقد ازداد بها شغفا ولها . . وعبر عن ذلك بشعر يقطر صدقاً وهياماً  
وحينما علم أنها مريضة . . أحس هو الآخر بالمرض . وأنشأ يقول :  
أيا بيت ليلي إن ليلي مريضة براذان لا خال لديها ولا ابن عم  
ويا بيت ليلي لو شهدتك أعولت عليك رجال من فصيح . . ومن عجم  
ويا بيت ليلي لا ييست ولا تزل بلادك يسقيها من الواكف الديم

إنه يجعل نفسه فى موضع المسئولية حين مرضت بنت عمه ليلي .



ليس أمامه إذن وقد استبدَّ به الشغف إلا أن يتقدم لخطبتها .. فأنى  
أهلها أن يزوجه .. لما قاله من شعر فيها .  
فأقسم ألا يكف عن الشعر .. يتغزل فيها .. ويهجو من يخطبها أو  
يتزوجها .

وحدث أن خطبها رجل من بني نهشل يقال له : إران .. فهجاه بأبيات  
منها :

وما كنت أخشى أن تصير بكرة من الدهر ليلي زوجة لإران  
لمن ليس ذا لب ولا ذا حفيظة لعرس ولا ذا منطق وبيان  
لقد بليت ليلي بشر بليّة وقد أنزلت ليلي بدار هوان . .

من ذا الذى يستمع إلى هذا الهجاء ولا يكف ولا يتراجع .  
لقد أوقف مرة أشعاره عليها لكى يهرب كل رجل يريد أن يقترب بها . .  
ويكفى نفسه لسان مرة فى الهجاء .

أى سلاح هذا الذى ارتضاه الشاعر دفاعاً عن عشقه .. إنه سلاح  
لم نعهده من قبل بهذا الإصرار والاستمرار .

لكن رجلاً يسمى المنجاب بن عبدالله بن الهيثم من بني زُوى تقدم  
يخطبها وأسرع فى الاقتتان بها دون أن يسمع إلى هجاء مرة .. ودون أن  
يلقى له بالاً ولا اهتماماً .

يا لحسرة العاشق .. لكان سلاحه صدىء فى مواجهة غرماثه .  
ولم يكتف زوجها بالاقتتان بها .. بل رحل بها إلى ( برازان ) بعيداً عن  
عين مرة ويبدو أنها لم تتحمل العيش مع هذا الزوج .. فماتت كمداً  
وحسرة فى برازان .

وجاء رجلاً نعيان ليل لقومها .. وكان فيهم مرة جالساً .. فأغمى  
عليه وحينما أفاق أنشأ يقول :



أيا ناعمى ليل أما كان واحد  
ويا ناعمى ليلى ألم نكُ جيرة  
ويا ناعمى ليلى لقد هجتنا لنا  
ويا ناعمى ليلى لجلت مصيبة  
ولا عشتما الا حليفى بلية  
فأشمت والأيام فيها بوائق  
من الناس ينعاها إلى سواكما  
ندامى ذوى حق فألا نهاكما  
تجاوب نوح فى الديار كلاكما  
بنا فقد ليلى لا أمرت قواكما  
ولا مت حتى يُشترى كفنكما  
بموتكما إني أحب رداكما

إلى هذا الحد كان التطرف النفسى للشاعر العائق .. حتى أنه تمنى  
الموت للناعمين لمجرد أنها أبلغا القوم بموت ليل .  
ويظل مرة يرثى ليلى .. ويمعن فى الحزن والأسى .. حتى رحل يقف  
على قبرها وينشئ قائلاً :

أيا قبر ليلى لا ييست ولا تزل  
ويا قبر ليلى غيبت عنك أمها  
ويا قبر ليلى كم جمال تكنه  
وبلادك تسقيها من الواكف الديم  
وخالتها والناصحون ذوو الدم  
وكم حزت منها من عفاف ومن كرم

وأخذ يندبها .. ويكب وجهه على قبرها .. وظل ملازماً لقبرها يغدو  
ويروح ويبكى وينوح .. حتى لحق بها .  
وتنتهى قصة عاشق مجنون .. أوقف شعره سلاحاً يهجو به كل من  
يقترّب من حوى معشوقته .. حتى لو كان هو الناعى لها .









القشـيرى  
مجنون رىا



بكت عيني اليسرى فلما زجرتها  
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معاً  
حننت إلى رياء ونفُسك باعدت  
مزارك من رياء وشغباًك معاً

القشيري

واحد من الشعراء المتيمن الذين عاشوا العصر الأموي حاملاً معه بقايا  
التقاليد العربية القديمة نتيجة استغراق العرب - في البادية - في حياة  
اجتماعية قبلية لا تتيح ما تتيحه حياة الحضر .

لقد عاش المتيمنون حياة العشق بصورة أقرب إلى حياة العذريين . .  
ولكنها حياة تلونت بما اتسم به المجتمع القبلي من قيود وأحلام مستحيلة .  
وكما كانت الحروب تقوم على أئفه الأسباب . . كان التفريق بين العاشق  
ومحبوته بلا منطق مقبول . . اللهم إلا العناد أو التعصب أو الهوى .  
لقد تعلق المتيمنون بمثل عليا يرونها فيمن يصرن حبيبات . . إن الدنيا  
جميعها تتجسد في الحبيبة . . والحياة والموت والطموح والشعر جميعاً تنبت من  
عيون المحبوبة . . ومن وصلها وقرّبها .

ويبدو أن الشعراء العشاق كانوا لا يطبقون مجرد فكرة أن يستبدلوا محبوبة  
بأخرى . . فقد انغلق القلب على واحدة فحسب . . وعلى العاشق أن يتعبد  
ويخلص ويقف بحياته كلها على باب هذه العاطفة .

على هذا النحو كانت قصة القشيري وحبيته رياء .

أما القشيري فهو الصَّمَّةُ بن عبد الله بن الطفيل . . بن قشير بن  
كعب . . بن مضر بن نزار . . شاعر إسلامي بدوي مقل . . من شعراء



الدولة الأموية .. ولجده قرّة بن هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم  
وهو أحد وفود العرب الرافدين على الرسول الكريم .  
وينشأ الصمة في بيت أبيه .. وبجواره بيت عمه .. وفيه ابنة عمه  
الحسناء ريا .. رعيًا معاً صغاراً .. ولعباً معاً .. وأحب كل منها  
الآخر .

ولما نضجا .. وشبّا .. ذهب الصمة إلى عمه خاطباً ..  
فاشتط عمه وبالغ في المهر .. وقال :  
لا أزوجهما إلا على كذا .. وكذا من الإبل .  
وعاد الصمة إلى أبيه شاكياً مالاقيه من عمه .. طالباً أن يساعده ..  
فاستدعى أبوه أخاه وأمره أن يسوق الإبل إلى عمه وفاء لمهر أخيه الصمة ..  
فلما جاء بها عدها عمه .. فوجدها تنقص بغيراً فقال :  
— لا آخذها إلا كاملة ..

وغضب أبو الصمة .. وحلف ألا يزيده على ما أرسله شيئاً .  
وكما عاند عم الصمة .. عاند أبوه .  
لك الله يا صديقنا الصمة .. يفعلها الكبار .. ويقع فيها الصغار - كما  
يقولون - !

لقد أدرك الصمة أن كلا من أبيه وعمه لا يدركان ما به .  
ويدخل الصمة على أبيه غاضباً .. فقال له أبوه : ما وراءك يا ولدى ..  
أرأيت ما يفعله عمك .

قال الصمة : ورأيت ما تفعله أنت أيضاً يا أبي .. تا الله ما رأيت قط  
الأم منكما .. وإلى لأأم منكما إن أقمت بينكما .  
ثم ركب الصمة ناقته .. فأدركه أخوه وأخذ يسرى عنه .  
فقال بنت عمه حينما رآته على تلك الحال :  
— ما رأيت كالיום رجلاً باعته عشيرته بأبيرة !



وتتزوج ريا رجلاً آخر .. وكان زوجها قصيراً قبيحاً .. فأخذ يهجوهُ  
ويسخر منه قائلاً :

فإن تنكحوها عامراً لاطلاعكم إليه يدهدكم برجليه عامر  
فلما دخل عليها زوجها عامر بن بشر .. وجد الصمة بها وجداً شديداً  
وحزن عليها .

ويجتمع عليه أبوه وعشيرته .. ويدفعونه إلى الاقتران بغيرها .. فزوجه  
امراً منهم يقال لها جبرة بنت وحشى ..  
ولم يستمر زواجهما وقتاً طويلاً .. حتى خلفها ورحل إلى الشام غاضباً  
على قومه .. قائلاً لها :

كلى التمر حتى تهرم النخل واضفري خطامك ما تدرين ما اليوم من أمس  
ويعيش الصمة بقية عمره ذاكراً حبيته ريا :

إذا ما أتننا الريح من نحو أرضكم أتننا برياًكم فطاب هبؤها  
أتننا بريح المسك خالط عنبراً وريح الخزامى باكرتها جنونها  
ويحن القشيري إلى ريا .. لا يذوق النوم ولا الراحة :

حننت إلى ريا ونفusk باعدت مزارك من ريا وشعبكم معا  
ثم يقول :

وأذكر أيام الحمى ثم أنثى على كبدى من خشية أن تصدعا  
فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا

ويدركه بعض أصدقائه وهو فى حال شديدة الأسى .. يبكى ويخاطب



نفسه ويقول :

— لا والله ما صدقتك فيما قالت :

فقال الصديق : من تعنى .. ويحك أجننت !؟

قال : أعنى التى أقول فيها :

أما وجلال الله لو تذكرينى كذكرك ما كففت للعين مدمعا  
فقلت بلى والله ذكراً لوانه . يُصبُّ على صُمِّ الصِّفا لتصدعا

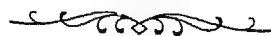
ثم يبكى بكاءً مرأً ويقول :

إذا نأت لم تفارقنى علاقتها وإن دنت فصدود العاتب الزارى  
فحال عيني من يومئيك واحدة تبكى لفرط صدود أو نوى دارٍ

ويطول مقام الصمة فى غربته عن قومه .. ويشتاقي إلى ريا .. ويندم  
لفعلته ويمر به بعض القوم وهو مطروح فى بستان يشكو الألم والسقم ..  
فدنوا إليه وهو فى لحظاته الأخيرة .. فإذا هو يهمس فى صوت خفى :

تعزُّ بصبرٍ لا وجدُّك لا ترى سنام الحمى أخرى اللبالي الغواير  
كأن فؤادى من تذكره الحمى وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

فمازال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه .. لتغلق صفحة من  
صفحات الحب المتيم الذى يقارب حب العذرين .. لكنه يسبقهم فى  
نزعته واشتعاله .







عُرْوَةُ بِنِ حِزَامٍ  
رَائِدُ الْعُذْرِيِّينَ الْمَجَانِينِ







حلفتُ برب الساجدين لربهم  
خشوعاً وفوق الساجدين رقيبُ  
لئن كان برد الماء حرّان صادياً  
إلى حبيباً .. إنها لحبيبُ  
عروة بن حزام

١  
من أقدم قصص العذرين تاريخاً .  
أما مسرحها المكاني فكان في أرض عذرة .  
وأما رجلها المتيم فهو عروة بن حزام بن مهاصر العذري من عذرة بن  
نهد .. أحد الشعراء الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ولم يدرك العصر  
الأموي لأنه مات عام ٣٠ هـ .. ودفن بوادي القرى .  
ويذكر له التاريخ أنه أول عاشق مجنون . مات بالهجر من العذرين ..  
حتى ضرب به المثل بين العرب .. ولا يكاد يعرف له شعر إلا في معشوقته  
عفراء بنت عمه عقال بن مهاصر .  
هنيئاً لك يا عروة أن بدأ جنون بني عذرة بك .. ولهذا شاعت بين  
الناس أخبارك .. وأوشكت أن تصبح بينهم شخصية شعبية يلعب الرواة  
بخيالهم في نسج أخبارها .. حتى لتبلغ أحياناً حد التناقض .. وأحياناً  
أخرى حد المبالغة ..

وتجمع كثير من المصادر على ذكر هذه المبالغات .. لكن رواية الأصفهاني  
في كتابه الأغاني والتي تستقي أخبارها من الأسباط بن عيسى .. قد  
وجدها الأصفهاني أكثر الروايات معقولة ومصدقية واتساقاً .



٢

كان حزام بن مهاصر قد حضرته الوفاة .. تاركاً ولده عروة صغيراً  
لامعين له .. فضمه عمه عقال إلى رعايته .  
وكان لعقال طفلة صغيرة في عمر عروة هي عفراء .. ولهذا نشأ عروة  
وعفراء في بيت عقال يلعبان معا .. ويذهبان معاً .. ويعودان معاً .. حتى  
ألف كل منهما الآخر ألفة شديدة .  
وكان عقال يسر لما وصل إليه عروة وعفراء من الألفة والمحبة .  
ويوماً يدخل الطفل عروة على عمه عقال بعد أن يستأذن فيبادره عقال :  
— مرحباً بك يا ولدى .. هل من حاجة فأؤديها لك ..  
وعلى استحياء شديد يرد عروة :  
— شكراً لك يا عماء .. إن ما تفعله يشعرني حقاً بالراحة والسعادة ..  
— إنك في بيتك يا ولدى .. وعفراء أختك ..  
— أخشى أن أكون قد أثقلت عليك وعليها يا عماء ..  
— كيف يا ولدى وأنا أبشرك بعفراء إن شاء الله .. فلن أجد أجدر منك  
بها حينما تكبران .  
— أحقا تقول يا عماء ..  
— أجل يا ولدى .. بقي لكما عام واحد .. وتلتحق أنت بالرجال ..  
وتلتحق عفراء بالنساء .  
وينطلق عروة إلى عفراء يبشرها بما صرح به أبوها .  
— آه يا عفراء .. لو تحقق الحلم .  
ألست معي أن القدر قد رسم لنا ما نحلّم به .  
قالت عفراء على استحياء :  
— ربما يا عروة ..  
— ألا تلاحظين معي ما ألاحظ .



— لا أفهم .

— إن أول حرف من اسمينا واحد . . أليست هذه أولى البشائر . .  
وهنا بدت عفراء كأن شيئا ما طفا على ذاكرتها فأغضبها . . إنها لم توافقه  
على هذا القول . . لكنها تحركت خطوتان تعبت بأوراق إحدى الأشجار  
الصغيرة .

ويدركها عروة : ماذا بك يا عفراء .

— يبدو أنك تقول نفس الشيء لابنة خالك عبله . . إن أول حرف من  
اسمها أيضا يوافق أول حرف من اسمك .  
علت ضحكة مجلجلة من قلب الصغير . . جعلها تستدير إليه . .  
فيلاحقها

— أجنونة أنت . . أين عبله منك يا عفراء . . هل تربيت معها . . هل  
ألقاها كما ألقاك . . أيجمعنا حوار دائم كما نفعل .  
جرت عفراء من أمامه . . وجرى عروة وراءها . . يلعبان . . ويقضيان  
يومهما في سعادة وطفولة بريئة .

٣

ويلتحق عروة بالرجال . . وتلتحق عفراء بالنساء . . وفي وجدان كل  
منهما أحلام وأحلام . . لا يشوبها ظل من المستحيل .  
ولأن حال العاشق دائما لا يقر له قرار . . أخذ عروة يعبر عن هذه  
التحولات الوجدانية في بعض أبيات من الشعر . . يوح بها . . ويفرغ فيها  
ما يقلقه ويحيره .

ويبدو أن الشعر وحده لم يستطع أن يقضى على قلق عروة . . إنه يريد  
أن يعطش على حبه . . وأن يستوثق منه . . لكن كيف ؟  
إن حياته الشديد لم يعد يجدى في دفعه إلى سؤال عمه مرة أخرى . .



وتذكره بوعده القديم .  
لكن عمه رجل عرف بالصدق والعدالة والحماية والحنان . . والعطف  
والكرم . . وعروة بالنسبة له من أولاده . . بل قد يكون له لديه قدر خاص  
لأنه تربى ونشأ مع عفراء . . قرة عين أبيها .  
أخذ عروة يفكر في كل هذا وهو يسير وحيداً حول ديار قومه في ليلة  
مقمرة . . ثم توقف فجأة . . فقد شعر بالتعب . . فأسند ظهره إلى إحدى  
الري الصغيرة . . وأخذ يسدد عينيه إلى القمر . . وبحاوره في صمت  
طويل .

ثم تلمع في ذهنه فكرة .  
إن له عمّة تحبه وتحنو عليه . . وهي أيضاً قريبة من قلب عمه عقال . .  
فلماذا لا يفصح لها عن قلقه . . ربما تستطيع أن تفعل من أجله شيئاً .  
ولم يدع فكرة أخرى تطفئ على هذه الفكرة . . ولهذا انطلق إلى عمته  
لاهاثاً :

— يا عمّة . . اعذريني واعذري لهفتي واستحيائي . . ولولا أنني ضقت  
ذرعاً بما أنا فيه . . ما أسرع إليك .  
ويبوح عروة لعمته بقلقه وحيرته . . وتعهده خيراً

#### ٤

أما عروة فقد عاد إلى غرفته يتوهم ما سوف يكون من أمر هذا اللقاء  
المرتقب بين عمه وعمته .  
وأما عمته فتدخل على أخيها عقال قائلة :  
— يا أخي . . لقد أتيتك في حاجة . . وأحب ألا أعود بدونها .  
قال لها عقال :  
— ماذا وراءك يا أختاه . . والله لا تعودين بغيرها .



قالت :

— حاجتى أن تزوج عروة ابن أخيك بابنتك عفراء .. وقد وعدته سابقاً .

قال عقال بعد صمت قصير :

— لقد جئتنى فى أمر وعدت به سابقاً .. وإنى لأرى عروة ولدنا .. وما نستطيع أن ننأى عنه .. ولا هو من الرجال الذين لا يرغب فيهم .. لكنه يا أختاه .. ليس بذى مال .

قالت أخته :

— وماذا يعنى المال .. وأنت منه هكذا .. وهو منك هكذا !

قال عقال :

— صدقت .. ورددت بلا خيبة يا أختاه .

وتطير العمة إلى ابن أخيها عروة الذى تطيب نفسه لما انتهى إليه هذا اللقاء .

لكن الأمر لم ينته عند ذلك .

فقد كانت أم عفراء لا تحب عروة .. ولا تريد أن يكون له مع ابنتها شأن .. إنها أم تطمع فى زوج لابنتها ذى مال كثير .. وحسب وفير .. ولا يتحقق ذلك فى عروة .

إنها لاشك من أشد العقبات فى طريق عروة .

وتنمو هذه العقبة فى قلب أم عفراء لتكبر يوماً بعد يوم فى ناظرى عروة . وذات يوم اخترق قلقه أحد الأصدقاء .

— أتدرى ما حدث يا عروة .

— خيراً يا أخى ..

— إنه أمر لا ينبىء بالخير يا عروة .. لقد أقبل على عمك عقال ..



رجل من قومه ذو يسار ومال كثير .  
 — ماذا .. أتعنى أنه ..  
 أكمل صديقه ..  
 — خطب عفراء .. ورضيت أمها بهذا .  
 ويطغى على عروة هم شديد .. وأحس أن الدنيا تضيق عليه .. وأن أم  
 عفراء لا تزال تضمر له الكراهية .  
 ويظل في عزله أياماً يفكر .. وهو حزين مهموم .



لا مفر إذن من دفع نفسه في الجحيم من أجل عفراء  
 أسرع إلى عمه .. وكان يجلس إلى بعض أصحابه .. فلم ينتظر حتى  
 يغادروا مجلسه بل اقتحم عليهم المجلس .. منحنيا على يد عمه يقبلها وهو  
 يقول والدمع يملأ عينيه :  
 — يا عم .. لقد عرفت حقى وقرابتي .. وإنى ولدك .. ربيتنى فى  
 حجرك .. وآثرتنى بوعدك فى عفراء .  
 وقد بلغنى يا عم أن رجلاً ذا مال ويسار يخطب عفراء .. فإن لبيت له  
 طلبته قتلتنى .. وسفكت دمي .. وإنى أناشدك الله ورحمى وحقى لديك  
 ألا تستجيب له .  
 ورق له قلبه .. ورق له أيضاً قلوب الحاضرين .. فربت عمه عليه ..  
 وقال :

— هون من حزنك يا ولدى وتعقل .. وإنك تدري إنك معدم ..  
 وحالنا قريبة من حالك .. ولن أخرج عفراء إلا لك .. لكنك تعرف أمها  
 وماتنوى عليه .. إنها تأبى أن تزوجها إلا بمهر غال .



ويستأذن عروة في محادثة أم عفراء .  
ويبدأ حوارها معها في ملاطفة وهدوء .. لكن الأم لم تكن تملك إلا هذا  
القلب الصخري الذي تصطدم به أحلام العاشق المتيم .  
إنها تستجيب بشروط .  
إنها تطلب مهراً ليس مؤجلاً .. بل يساق نصفه على الأقل إليها ..  
ولم يملك عروة إلا أن يعدها بذلك .. وعلم أنه لا جدوى من القربة  
ولا غيرها .. فالمال هو الشرط الأول والأخير .  
لا مفر إذن من البحث عن المال ..  
ويلتقي عروة وعفراء .. ليتعاهدا على الصبر والحب معا .. ثم يودعها  
إلى رحيل طال أو قصر .  
لقد قصد عروة بن عم له ذا يسار ومال يقيم في اليمن .. وصحبه في  
طريقه فتيان من بني هلال بن عامر كانا يصادقانه .  
لقد كانت رحلة طويلة .. حاول صاحباه أن يسريا عنه أو يجدثاه ..  
وهو لا يرد ولا يفهم .. لقد كان عقله كله في عفراء .. ووجدانه كله في  
عفراء . ولم يفق من همه هذا إلا بعد أن لقي ابن عمه .. وقص عليه  
قصته .. فأعطاه ابن عمه ما أراد .. مائة من الإبل .. ساقها الثلاثة إلى  
قومهم .  
لقد قضى الثلاثة وقتاً طويلاً في غيابهم عن حبيهم .. حتى ظن البعض  
أنهم لن يعودوا .. أو هكذا ظنت أم عفراء .





٦

وحدث في أثناء غياب عروة أن قدم الحى رجل من بنى أمية .. وأخذ ينحر الإبل ويهب المال ويطعم الناس .

ويرى هذا الرجل عفراء فتعجبه ويسأل عن أبيها .. ويدلونه عليه . .  
فيخطبها لنفسه . . لكن الشيخ تذكر وعده لابن أخيه . . ثم يجرى بينه وبين الرجل هذا الحوار :

قال عقال للرجل الغريب :

— لقد رأينا ثراءك وسعة كرمك .. وجودك على الناس . . نعم لن نجد أعز منك لا بنتنا .

— وأنا من أجل ابنتك أهب ما تريد من المهر . . ولن أرد لك مطلباً .

— لكن لى وعداً وعدته لابن أخى عروة . . فقد رحل ليحىء بمهره لعفراء . . ولا أريد أن يقول عنى العرب : إننى أخلفت وعدى مع ابن أخى .

— وهل مهر ابن أخيك يعدل ما أملك أيها الشيخ .

— وعدى لابن أخى أسبق من مهرى لى .

ويدل بعض الناس هذا الرجل على أم عفراء . . لما عرفوه عنها من حبها للمال ورفضها لعروة . . فيذهب الرجل إليها . . ليوافق عندها قبولا . . وتجدها فرصة سانحة لتحقيق ما يريد .

وتدخل على زوجها لتقول له :

— ماذا ترى فى عروة من خير حتى تحبس ابنتى عليه . . وقد جاءها هذا الثرى الكريم يطرق بابها .

إنك لا تدري أحنى عروة أم ميت . . وهل سينقلب إليك بخير أم لا . . فتحرم ابنتك من الخير الحاضر . . والرزق الموفور . . فكر يا أبا عفراء . .





ويحار عقال بين وعده لعروة وانقطاع أخباره .. وبين إغراء المال وإلحاح زوجته .

ولم تنزل أم عفراء تلح على زوجها حتى لان قلبه وقال :  
 — لقد ذهب الرجل الآن عن حيننا .. فإذا عاد خاطباً أجبتُه !  
 ولم تنتظر الأم .. بل أسرعت ترسل إلى الرجل .. أن يعود خاطباً .  
 وسرعان ما حضر الرجل يبيله التي ينحرفها .. وماله الذي يمنحه  
 الفقراء .. وطعامه الذي يوزعه على الناس .  
 ثم أومأ وليمة كبيرة لأشراف الحي ومنهم عقال .. فلما انتهوا من الطعام  
 أعاد الرجل طلبه في خطبة عفراء .  
 فلم يملك أبو عفراء إلا الاستجابة .. خاضعاً .. خجلاً .. وساق إليه  
 عفراء زوجة على غير رضا منها .. ورحل الرجل بها إلى الشام .  
 لقد انتصر المال على الحب .. والطمع على العاطفة .. وانهمزت كل  
 القيم الإنسانية أمام إغراء الثراء والحسب الوهمي .  
 وتنتقل عفراء وهي غارقة في أحزانها إلى بيت الرجل الثرى .. وكأنها  
 واحدة من تلك السلع التي يتاجر فيها زوجها .  
 وتستسلم لأقدارها ولسان حالها يلهج بقولها :

يا عُروُ إن الحي قد نقضوا عهد الإله وحاولوا الغدرا

هذا هو الموقف صراحة يا عروة .. لخصته لك معشوقتك المخلصة ..  
 لكن ليتها كانت تملك مصيرها أمام طمع أمها ومؤامرتها أن تكون هذا  
 الرجل الذي يدفع أكثر .

لقد ضربت أمها بالقيم جميعها عرض الحائط .. ووضعت زوجها في  
 مأزق شديد أمام كبراء القوم .. حتى استجاب وفي نفسه شيء .. حسب  
 أنه وعد ابن أخيه بأن عفراء له .. وأنه سوف يحتفظ بها حتى يعود من سفره



بما يجيء به من المهر .. لكن شيئاً من هذا لم يبق بين يدي الأب فقد نفذ  
السهم .. وانتهى الأمر .. بلا عودة .

٧

ويعتزل عقال الناس مفكراً في الأمر .. وتحاول زوجته أن تخلصه من  
هذه الوسواس .  
كان يسأل نفسه كل ساعة وكل لحظة : هب أن ابن أخى عاد ومعه مهره  
الذى سافر من أجله .. ماذا أفعل ؟  
وواتته فكرة للخروج من هذا المأزق .  
جمع الحى .. وسألهم أن يكتموا أمر عفرأ عن عروة حين يعود .. وأن  
يقولوا : إنها ماتت .  
وانطلق مع بعض الحى إلى قبر عتيق فجدده وسواه .. وكأنه قبر  
عفرأ .  
وتمضى الأيام .. وعقال يود لو أن عروة يطول سفره .. أو لا يعود ..  
فتنسأه ذاكرة الحى .  
حتى جاء يوم شديد الحرارة من أيام الصيف .. وهاهى ذى خلف  
الروابي المنخفضة تثور زويعته من رمال الصحراء .  
ويخرج أطفال الحى وشبابه يستطلعون الأمر .  
— مرتجبا بك يا عروة .. وعودة حميدة يا بنى .  
عائقه عمه عقال عناقاً حاراً .. يكاد لا تشوبه شائبة .  
— لم أتأخر عليك يا عماء .. إن الشهور الستة لم تمر بعد .. بقى نصف  
شهر عليها .. وهاهو ذا مهرى لعفرأ .. مائة من الإبل .. لعلك  
ترضى .



ويصحبه عمه إلى داخل البيت :  
— عليك يا ولدى أن تزيل غبار السفر .. وتستحم أولاً ثم نتحدث في  
الأمر .

— لا عليك يا عماء .. أريد فقط أن ترضى عما فعلت .

— أنا راض يا ولدى .. لكن الأمور ليست كما تظن .

نهض عروة من مكانه كالمسوس صائحاً :

— ماذا تعنى يا عماء .. ماذا حدث .

نظر إليه عمه عقال ملياً .. ثم افتعل البكاء ونحشر صوته قائلاً :

— عفراء يا ولدى .. اختارها الله إلى جواره :

— ماذا .. متى .

— منذ شهر يا ولدى ..

ويسقط عروة غائباً عن الوعي لبعض الوقت .. ثم يفيق ولسانه

لا يعرف من الكلام إلا « عفراء » .

ويصحبه عمه إلى قبر عروة الموهوم .. ويبكي عروة .. كما لم يبكي من

قبل .. ويتركه عمه جوار القبر مضى هالكا .

ويظل أياماً يجاور القبر .. حتى جاءت جارية من جواري الحى ..

وشاهدت حزنه ونحوه .. وحاله التى تقترب من الموت والفناء ..

فأشفقت عليه .. واقتربت منه .. وأخذت تحكى له حقيقة ما حدث .

وينطلق عروة إلى الشام حيث عفراء وزوجها .

وأخذ يسأل عن هذا الرجل حتى دلوه عليه .. فدخل عروة عليه وأخفى

نسبه .. وانتسب إلى عدنان .. فرحب به الرجل وأكرمه وأحسن

ضيافته .. ومكث عنده أياماً حتى أنس له .. واطمن إليه .

وكانت تدخل عليه كل يوم جارية الرجل بالطعام .. فقال لها يوماً :

— هل لك فى عمل تفعلينه من أجل .



قالت الجارية : إذا كان في وسعى ذلك .. أفعله .  
 قال : بل هو في وسعك .  
 عليك فقط أن تأخذى خاتمى هذا وتعطيه لمولاتك عفراء .  
 وهنا صاحت الجارية في وجه عروة :  
 — ماذا تقول أيها الرجل : أما تستحى أن تقول هذا لى .. يا لسوء  
 ما تظن !

واستطاع عروة أن يهدىء من نائرة الجارية .. قائلاً :  
 — ويحك إنها والله بنت عمى .. وما أحد منا إلا وهو أعز على صاحبه  
 من الناس جميعاً .. ضعى هذا الخاتم فى إناء لبنى فى الصباح .. فإن  
 اكشفت ذلك ولاملك .. قولى لها : لقد شرب ضيفكم فى الإناء قبلك  
 ياسيدتى .. ولعل الخاتم سقط منه فيه .  
 وبدأ على الجارية الاقتناع بما قاله عروة .. وفعلت ما طلبه منها .. فلما  
 شربت عفراء اللبن رأت الخاتم .. فعرفته .. فشهقت .. وسألت الجارية  
 أن تخبرها بحقيقة الأمر .. فأخبرتها ..  
 ماذا تفعل عفراء .. لقد تملكتها الحيرة بين زوج منحها الراحة  
 والثراء ..  
 وبين حبيب لا يزال يملك عليها قلبها .



ظلت عفراء فى حيرة طوال يومها حتى عاد زوجها من الخارج فبادرته  
 بقولها :

— أتدرى من ضيفك هذا ؟  
 قال : نعم .. إنه من عدنان .  
 قالت : كلا والله .. ليس منهم .. بل هو عروة بن حزام ابن عمى ..



وقد كتمك نفسه حياءً منك .

فأرسل الرجل إلى عروة . . وعاتبه على إخفاء حقيقته عنه . . وقال له :  
— على الرحب والسعة يا أخى . . والله لا تبرح هذا المكان أبدا .  
وخرج الزوج وترك عروة وعفراء وحدهما . . وأوصى خادمة له  
بالاستماع إليهما فى الخفاء . . وإعادة ما تسمعه منها عليه .  
ويختل عروة بعفراء . . ويتشاكيان . . ويتبادلان الشوق والذكريات . .  
بعد فراق طويل .

وتطول الشكوى . . وهو يبكى أحر البكاء . . وتبادل بهكاء يبكاء . .  
وشوقاً بشوق .

ورأت عفراء نحول جسد عروة . . وأشفقت عليه . . وخافت أن يفقد  
حياته إذا ظل هكذا .

ثم أتت بشراب وسألته أن يشربه فقال :

— والله ما دخل جوفى حرام قط . . ولا ارتكبته منذ رأتك عيناى قبل  
رحيلى إلى اليمن . . ولو كنت ممن يستحلون الحرام . . لكنت قد استحللته  
منك أنت يا عفراء . . لكن يشهد الله أنى لا أرغب فى غضبه . . فأنت  
حظى من الدنيا . . وقد ذهبت منى . . وذهبت عنك . . فلا حياة بى  
بعدك . . وقد أكرمنى زوجك وأحسن لقاى . . وأنا استحي منه . . ووالله  
لا أظلل هنا بعد أن علم من أكون منك .  
إننى أدرك أننى سوف أرحل إلى منبى . . لأنك الحياة لى . . ويعدى  
عنك هو الموت بعينه .

وتباكيا بكاء مرأ . . ثم انصرف عنها إلى حال سبيله .  
فلما جاء زوجها أخبرته الخادمة بما جرى بين عروة وعفراء . . فقال  
لعفراء :

— امنعى ابن عمك من الرحيل .



فقلت : لن أستطيع ذلك .. فوالله هو أكرم وأشد حياء من أن يقيم هنا  
بعدهما جرى بينكما .  
فاستدعاه وقال له :

— يا أخى عروة .. اتق الله فى نفسك .. فقد عرفت قصتك .. وإنك  
إن رحلت .. مت .. ووالله لن أمنعك من الجلوس إلى عفراء أبدا وإن  
شئت أفارقها وأنزل لك عنها .  
قال عروة :

— شكراً لك ياسيدى .. على هذا الكرم وهذا الإيثار .. ووالله لقد  
حملت نفسى على الصبر .. وقد يئست من حياى .. ورأيت أن اليأس  
ينسبى ما كان .. وإن لعازم على العودة إلى أهلى لبعض شئونى .. فإذا  
وجدت نفسى قادرة .. ظللت .. وإلا رجعت إليكم وزرتكم حتى يقضى  
الله من أمرى ما يشاء .  
ويزوده الرجل بالطعام .. ويودعه إلى رحلة العودة القاسية .

#### ٩

ويحاول عروة أن يتماسك .. وأن يقنع نفسه باخياة بدون عفراء ..  
لكنه لم يستطع .  
لقد أصابته انتكاسة شديدة .. جعلته يفقد توازنه .. فيغيب عن  
الناس .. حتى يكاد قلبه يتوقف عن الخفق .  
وكان كلما أصيب بذلك .. ألقوا على وجهه خماراً لعفراء زودته إياه ..  
فيفيق من غيابه .

وكان طريق العودة طويلاً .. مر فيه على اليمامة .. حيث لقيه هناك  
عرافها ابن مكحول .. فما إن رآه العراف حتى جلس إليه .. وسأله عما به



وهل هو خبل .. أم جنون .  
فقال له عروة : ألك في الأوجاع يا سيدي .  
قال العراف : نعم .  
فأنشأ عروة يقول :

وما بي من خبل وما بي جنة	ولكن عمى يا أحمى كذوب
أقول لعراف اليمامة داوى	فإنك إن داويتنى لطيب
فواكبدا أمست رفاتا كأغما	يلذعها بالموقدات هيب
عشية لا عفراء منك بعيدة	فتسلو .. ولا عفراء منك قريب
عشية لا خلفى مكر ولا الهوى	أمامى ولا يهوى هواى غريب
فوالله لا أنساك ماهبت الصبا	وما عقبته في الرياح جنوب
ولفى لتغشاني لذكراك هزة	لها بين جلدى والعظام ديب

ولم يستطع عراف اليمامة أن يداويه بشيء .  
ويعود إلى قومه .. بين الحياة والموت ..  
ويعوده أهل الحى .. ويحارون في حالته .. فمنهم من يقول : إنه مس  
من الجن .. ومنهم من يقول : إنه مجنون العقل .. ومنهم من يقول : إن  
مرضه لا يشفى .  
ويشير بعض أهله بطبيب في أرض حَجَر فيذهبون به إليه .. ويخفق  
الطبيب في علاجه .. وهو يقول :  
— والله ما دوائى إلا بشخص في أرض الشام .. ثم ينشد قوله :

جعلت لعراف اليمامة حكمه	وعراف حجر إن هما شقيان
فما تركا من رقية يعلمانها	ولا سلوة إلا بها سقيان



فقالا : شفاك الله والله مالنا  
فويلي على عفراء ويلاً كأنه  
أحب ابنة العذرى حباً وإن نأت  
فيارب أنت المستعان على الذي  
كأن قطاةً علقت بجناحها على كبدى من شدة الخفقان

ويصب عروة غضبه على عمه الذى خدعه مرتين :  
خدعه حين مناه عفراء .. ودفع به إلى آفاق الأرض البعيدة خلف  
مهرها .. ثم خدعه حين لفق له قصة موتها .. وتركه فريسة أحزانه  
ودموعه .

فمضى عروة يهجوه بما ملك من شعر :  
فيا همُّ ياذا الغدرِ لازلت مبتلى حليفاً لهم لازم وهوان  
غدرت وكان الغدر منك سجية فالزمت قلبي دائم الخفقان  
وأورثتني غمًا وكرهًا وحسرةً وأورثت عيني دائم الهملان  
فلا زلت ذا شوق إلى من هويته وقلبك مقسومٌ بكل مكان  
ويقضى عروة أيامه بين أمل لاه له ثم ضاع منه إلى الأبد .. وألم يعيش  
به وقد استقر في أعماقه إلى الأبد .

وبين الألمين طيف عفراء الذى لا يفارقه ليل نهار .  
وكلما مضت أيام صاحبه بعض أصدقائه في رحلة خارج الحى إلى طبيب أو  
عراف ليعود أكثر ألباً وجنوناً .  
وكان يأتي حياض الماء التى كانت إبل عفراء تردها وهم صغار ..  
فيلصق صدره بها .. فيقال له :

مهلا يا عروة .. إنك والله تقتل نفسك بما تفعل .. فاتق الله !  
لكن عروة لا يستمع إلى أحد ويظل في جنونه حتى يشرف على التلف





ويشعر بالموت فيقول :

بي اليأس والداء الهيام سُقِيَتْهُ فإياك عنى لا يكن بك مايا

وينصرف الناس عن عروة .. وجنونه .. ويعوده أهله بين الحين والآخر  
حتى يشسوا منه .. وهاهو ذا عروة في فناء بيته المنعزل عن حى عذرة ..  
يراه بعض الناس مستلقيا على قفاه لم يبق منه إلا جلد وعظم .. وقد التف  
حوله أخواته وأمه وخالته .. ولسانه ينشد في همس :

من كان من أخواتي باكيا أبدا فاليوم إلى أراى اليوم مقبوضا  
يسمعنييه فإنى غير سامعه إذا علوت رقاب القوم معروضا

ويشهى عروة شهقة أخيرة .. ويبلغ النبأ عفراء فتدخل على زوجها  
قائلة :

— لقد قضى عروة .. ياهناه .. لقد كان من أمر هذا الرجل ما قد  
علمت .. وما كان والله إلا على الأمر الحسن الجميل .. فإن رأيت أن تأذن  
لى فأخرج فى نسوة من قومى فننديه ونبكى عليه ..  
فيأذن زوجها لها بالخروج .. وهى تقول :

ألا أيها الركب المخبون ويحكم بحق نعيم عروة بن حزام  
فلا نقع الفتيان بعدك لذة ولا رجعوا من غيبة بسلام  
وقل للحبالى لا يرجين غائباً ولا فرحت من بعده بغلام

وتظل عفراء تندب عروة وتبكي عليه حتى ماتت بعده بأيام قلائل ..  
فلما بلغ الخبر معاوية بن أبي سفيان قال :



لو أقي علمت بحال هذين الحزينين الكريمين لجمعت بينهما !  
ويأبى خيال القصاص إلا أن يجمع بينهما بعد الموت - وظنه الكثيرون ليس  
بعيداً عن الخيال - فقد دفنت عفراء إلى جانب قبر عروة . . ومن القبرين  
تنبت شجرتان غريبتان لم ير الناس مثلهما من قبل . . تظللان تنموان حتى  
تلتف إحداهما على الأخرى . . تحقيقاً لأمل قديم حالت الحياة دون تحقيقه  
وأي الموت إلا أن يحققه !





قيس بن الملوّح  
مجنون ليلي





لقد ثبتت في القلب منك محبة  
كما ثبتت في راحتين الأصابع  
وأنت التي صيرت جسمي زجاجة  
تنم على ما تحويه الأضالع  
(المجنون)

١

نجد ..  
تلك البقعة التي تتوسط جزيرة العرب .. كانت مسرح هذه القصة  
الغريبة .. ومعنى ( نجد ) الأرض العالية المرتفعة .. ويحدها من الشمال  
صحراء النفود .. ومن الجنوب الربع الخالي .  
أما صحراء النفود ففيها بعض الواحات التي نشأت حول الآبار والعيون  
القليلة المتناثرة هنا وهناك .. ويصيبها الغيث بين الحين والآخر .. فيسرع  
الناس ومعهم أنعامهم يراعون خضرة المطر .  
وأما الربع الخالي .. فهو يخلو من الماء ومن مقومات الحياة .. وتكثر  
رماله وأخطاره .. فالحياة فيه صعبة .. قاسية .  
وأما مسرح قصتنا - نجد - فتتوسط المنطقتين .. وتجمع بين الهضاب  
الصخرية .. والمناطق السهلة الهشة .. والأودية الضحلة .. ومن ثم  
تتناثر مناطق الخضرة فوق الروابي .. وفي الأودية ، كما تكثر الصخور  
الشاخنة الشماء .  
وحياة البشر في نجد .. حياة ظمأ إلى كل شيء .  
ظمأ إلى الماء والكأ ..



وظمًا إلى الجمال .. والتأمل في إبداع الخالق .  
 وظمًا أكبر إلى الحب .. وسط هذا الجفاف الممتد !  
 ولهذا قيل عن نجد .. إنها أطيب أرض في بلاد العرب .. استطاع  
 الانسان العربي أن يجعلها منطقة الحب والجمال والفصاحة جميعا ..  
 وزمن أحداث قصتنا يعود إلى أيام الدولة الأموية .. ذلك العصر الذى  
 تميز بأحداث جسام وبتيارات سياسية وغير سياسية سجلها التاريخ الأدبي  
 بكل دقة ..  
 كان الطفل قيس بن الملوّح بن مزاحم .. بن عامر .. يرمى الأغنام  
 عند جبل يقال له التوباد ..  
 وفي يوم .. نفرت منه شاة .. فتبعها إلى أن أمسك بها .. وقد بعد  
 قليلا عن أغنامه .  
 وما كاد يمسك بها حتى نفرت منه مرة أخرى .. وهنا صكت أذنيه  
 ضحكة ساخرة رقيقة لطفلة ترمى الغنم قريبا منه .. فأسرع يقبض على  
 شاته ويتجه إلى حيث الصوت الضاحك .  
 إنها ليلي .. بنت عمه مهدي .. بن عامر ..  
 — ما الذى أتى بك إلى هنا أيتها الشقية .  
 قالت ليلي ساخرة :  
 — لكى أستمع بما شاهدته الآن .. صبي .. نفر منه شاته ..  
 — لكننى قبضت عليها يا بنت العم .  
 — حسنا .. هذا واجبك .  
 أخذت تضحك .. وتضحك .. وقيس حائر فيها وفي ضحكها ..  
 اقترب منها قيس .. وكأنه يراها للمرة الأولى .. ونسى تماما أنها ..  
 التقيا .. قبل هذا .. لكنهما كانا بين قومهما .  
 — اضحكى يا بنت العم .. فوالله لقد أحبيت ضحكك ..  
 — أتغازلنى يا قيس .



- بل أقول صدقا يا ليلي ..  
 — أأست صغيرا على الغزل يا ابن العم ..  
 — إذا كنت صغيرة على الحب .. فأنا صغير على الغزل .  
 صاحبت في اندهاش :  
 — أتقول الحب .  
 لم ينتبه قيس إلى سؤالها .. لكنه تابع كلامه :  
 — لكأنى أراك لأول مرة يا ليلي .. أأست بنت عمى .. وأنا ابن عمك  
 ونحن نرعى معا ماشية قومنا .  
 — أفق يا قيس .  
 — بل أسرى جمالك يا ليلي .  
 — ألا تخشى أباك .. أو أبى .  
 — أنا لا أخشى إلا قلبك يا ليلي .. فإذا صدنى .  
 قاطعته ليلي :  
 — لا تكمل يا ابن العم .. فوالله لقد سمعت عنك الكثير .. وإنه  
 لحياء الفتاة التى يجعلها لا تبوح بما تود .  
 — بل بوحى من الآن يا ليلي .. فقد بدأت بوحى .. بل أحس شيئا  
 ما بداخلى يقتلنى إذا لم أبح به .  
 — لعله الشعر يا قيس .  
 — والله لو كان .. لأجعله لك وحدك يا ليلي .  
 — وتذكرنى به .. ويسمعه الناس .. والرائح والغادى .  
 — نعم يا بنت العم .  
 — تعلم يا قيس إنى بصيرة بالشعر والأدب .  
 — سأسمعك يا ليلي ما لم تسمعه من قبل .  
 وكاد الحديث يطول .. لولا دعوة القوم لها بالعودة إلى الديار ..  
 فتواعدا على لقاء الغد .



ولم تكن العرب تنكر حديث الفتى للفتاة .  
أما ليلي فكانت جميلة الملامح .. تنم عن ذكاء نادر .. أو كما يقول فيها  
قيس :

بيضاء باكرها النعيم كأنها قمرٌ توسط جنح ليل أسود  
موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنة للحسد  
وترى مدامعها ترقرق مقلّة سوداء ترغب في سواد الاثم  
خودٌ إذا كثر الكلام تعوذت بحمى الحياء .. وإن تكلم تقصد

٢

وتدخل ليلي على أمها .. في سعادة غامرة .  
وتحدجها الأم بطرف عينا :  
— ماذا بك يا ابنتي ..  
ولأن ليلي تربت على الصدق .. والشجاعة .. أجابت :  
— رأيت اليوم قيس بن عمى .  
صاحت الأم : تقولين من .. ابن مزاحم .  
— أجل يا أماه ..  
وسادت لحظات صمت .. قطعنها ليلي :  
— هل ارتكبت خطأ يا أماه .  
وأقبلت الأم على ابنتها تخفف من قلقها .  
— ليس خطأ يا ليلي .. فأنا أعرفك جيدا .. وأعرف قيسا كذلك ..  
— إذن ما الأمر يا أماه .  
شعرت الأم أن عليها أن تقول شيئا .. لكنها حاولت إخفاء الحقيقة :  
— لا شيء .. لا شيء .. يا ليلي .. فقط قلقت عليك .  
— ولم اليوم يا أماه .. الآن رأيت قيسا ؟  
لم ترد الأم .. وحاولت أن تغير مجرى الحديث .  
— أعلمت يا ليلي أن خطبة بنت عمك غدا .. نجلاء يا ليلي .. سوف





تكون خطبتها غدا .. أدعو الله أن يهني الحياة وأعيش حتى يوم  
خطبتك .

.....  
أدركت ليلي أن أمها تغير الحديث .. فألقت بنفسها في أحضانها باكية :  
— انك تشعرينني اليوم أنني ارتكبت خطأ يا أماه .. فبالله عليك ..  
هلا أرحتنى .. قولي شيئا يا أماه ولا تخفي ما تريدني عنى .  
— يا ليلي .

فاطعتها ليلي :  
— بالله يا أماه .. لقد أقسمت أن أعرف حقيقة الأمر .  
قالت الأم في همس :  
— لعن الله من كانوا السبب في العداوة .  
قالت ليلي في دهشة :  
— أية عداوة تعنين يا أماه .  
— عداوة قديمة يا ابنتي بين أهلنا وأهل قيس .  
— وما ذنبنا نحن يا أماه .. وما ذنب الصغار .. أيتحملون أخطاء  
الكبار .

— هذه هي الحقيقة يا ليلي .  
— وأنت .. أنت يا أماه ..  
— يعلم الله يا بنيتي كم أحب أهل قيس .  
— وأنا أيضا يا أماه .  
— ماذا .  
— أقصد أنني لا أكرههم .. ولا نعرف عن هذه العداوة شيئا أنا  
وقيس .

.....  
وتبيت ليلي تفكر في هذا الموقف الخطير .. على حين بات قيس في قبيلته



لا يذوق النوم .. انه ينتظر صباح الغد .. سوف يقوم مبكرا يسبق ليلي إلى  
جبل التوباد .. وسوف يقترب بأغنامه من موضع أغنامها .. وسوف  
يقضى معها يوما طيبا جديدا .

ويلتقى العاشقان الصغيران .. وتصارع ليلي قيسا بما سمعته من  
أمها .. ويرد العاشق على معشوقته :

— لكن الحب ياليلي لا يعترف بالكراهية والبغض . فأية عداوة قديمة  
ارتكبها الأجداد .. تحل لعنتها علينا .

— أنا معك يا قيس ..

— لا تسمعي ياليلي لصوت الكراهية .

يقولون ليلي أهل بيت عداوة بنفسى ليلي من عدو وماليا  
ولو كان في ليلي شذا من خصومة للوئيت أعناق المطى الملاويا

ويتفق العاشقان الصغيران على الحب .. وعلى أن ينهيا بين القبيلتين  
تلك العداوة القديمة ، وبينهما يتناجيان .. مرعلما فتى من حى ليلي ..  
فأمطرهما بنظراته الحاقدة الحاسدة ثم أسرع في اتجاه حى ليلي .. وكأنه يلوى  
على خطر .

وهنا تبادل العاشقان نظرة الدهشة والعجب .. ثم قالت ليلي في ثقة  
لصاحبها :

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً وكلٌ عند صاحبه مكينٌ  
تبَلَّغنا العيونُ بما أردنا وفي القليلين ثم هوئى دفينٌ

فلما سمع قيس البيتين شهق وأغمى عليه .. فمكث على ذلك ساعة من  
الزمان .. وأسرعت ليلي تحضر الماء وترشه فوق وجهه إلى أن أفاق ..  
وينتشر خبر ليلي وقيس .

أما ليلي .. فتقف حائرة أمام أبيها سيد القوم .. والمسيطر عليها وعلى



خطواتها .. لقد هديها بعدم السماح لها بالخروج إلى الجبل .  
وتبكي ليلي .. لكن قلب أبيها كان كالصخر .  
وأما قيس .. فيلقى نفس التقرع من أبيه .. كيف يسمح لنفسه  
بالحديث مع ليلي .. وهي من قوم يضمرون العداوة والكراهية لهم ..  
ماذا يفعل العاشقان .  
لقد ضرب الحصار حولها أياما .. ثم التقيا .  
لم يتحكم أحدهما في أشواقه .. واستجمع قيس شجاعته .. وبدت في  
نفسه حاجة إلى معشوقته .  
كان يود أن يعرف أين هو في قلبها .. لكن ليلي - حياء - منعت  
حاجته .  
ويسود صمت طويل بين العاشقين .. بينما تجرى الدموع في عيني قيس  
لينشد لها هذه الأبيات :

مضى زمنٌ والناس يستشفعون لي      فهل لي إلى ليلي الغداة شفيع  
يُضعِفني حُبِّيكِ حتى كأنني      من الأهل والمال التليد نزع  
ندمت على ما كان مني ندامة      كما ندم الغبون حين يبيع

هنا أمسكت به ليلي قائلة :  
— هون عليك يا ابن العم .. فوالله ما في قلبي إلا أنت ..  
ويخفف قيس دمعاته .. وأبيات شعره .. ويلتقط أنفاسه قائلا :  
— انك لا تعرفين يا ليلي ماذا يكتنه قلبي .  
— أعرف يا قيس ..  
وهنا .. نظر قيس إلى السماء وهو يمسك بيد ليلي قائلا :

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا      لي الليل هزنى إليك المضاجعُ  
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى      ويجمعني والهم بالليل .. جامع



لقد ثبتت في القلب منك محبة كما ثبتت في الراحتين الأصابع  
وينطلق الشاعر العاشق الصغير .. وينمو الحب بينه وبين ليل .. غير  
عابئين بما يقوله الناس .. ضارين عرض الحائط بهذا التاريخ الطويل بين  
قبيلتيهما من الكراهية والعداوة ..  
ويشب الصغيران .. مع نمو الحب ..  
ويتعديان سن الطفولة .. ليبدأ فصل جديد من العشق والشعر .  
ويواصل العاشقان حياتهما في الخفاء .. لكن أشعار قيس سرعان  
ما تفضح هذا الخفاء .. وذات ليلة .. طرق باب أبي قيس ضيوف ..  
فرحب بهم أبوه .. ولم يكن في البيت شيء من سمن .. فاستدعى الأب  
ولده قيسا .. وقال له :  
— اذهب إلى بيت أبي ليل .. وأطلب منه سمن .  
وقف الصبي مذهولا .  
انه يعرف أن بين أسرته وأسرة ليلي عداوة قديمة .. إذن ربما انتهى كل  
شيء .. وبهذا لن تجد ليل .. ولا قيس عقبة أمام حبهما .  
دار في خاطره كل هذا .. في لحظة عميقة من التأمل .. لكنه مع هذا  
تجمد في مكانه غير مصدق .. فاغرا فاه .. مما دفع أباه إلى حثه على  
الذهاب .  
طوى قيس تلك المسافة الفاصلة بين بيت أبيه وبيت أبي ليل في لحظة  
عابرة كأنه جواد يطير .  
وها هو ذا - لاهثا - يطرق الباب .. ويخرج له أبو ليل :  
— أهلا بك يا ولدي .. ماذا بك .. استرح ثم تكلم .  
وأخذه من يده ليجلسه إلى جانبه .. ويسأله عما يريد .. ويخبره قيس أن  
لديهم ضيوفا .. وليس لديهم السمن .  
ويصبح الرجل على ابنته ليلي ..



ويصل إلى قلب قيس صوتها ملبية نداء أبيها .  
 لم يدر قيس ما الذى فعلته ليلى .. وما الذى فعله صوتها وراء الستار فى  
 قلبه .. انها سوف تدخل على أبيها الآن .. وستفاجأ بوجود قيس ..  
 هتف قيس من الداخل :  
 — اللهم لا تفضحنا .. واستر علينا .  
 وتدخل ليلى كأنها فلقة قمر .. كانت تريد أن تقول لأبيها : أمرك  
 يا أبى .  
 لكنها لم تستطع .  
 بلغت ليلى كل العبارة إلا الحرفين الأولين .. وشهقت فى دهشة ..  
 خفق لها قلبها .. وانقطعت أنفاسها !  
 سألت نفسها : أقيس هذا .. وما الذى أتى به ؟  
 تراوحت ليلى بين الفرحة والدهشة .. غرقت فى حيرة من أمرها ..  
 وقطع أبوها عليها كل هذا القلق حينما قال :  
 — هذا ابن عمك يا ليلى جاء يطلب سمنا .. املى له وعاء ..  
 وتسرع ليلى إلى الداخل لتأتى إلى قيس بقدرح السمن الكبير تفرغ منه فى  
 وعاء قيس .  
 وبدأت ليلى تصب السمن من قدحها فى وعاء قيس .. وقيس مثبت  
 عينيه فى عينيها .. وهى تصب ولا تدري امتلأ الوعاء أم لا ؟!  
 وظلت ليلى تصب وتصب السمن .. وبدأ حديث هامس بين العاشقين  
 حتى امتلأ الوعاء وفاض .. وسال على أقدامها حتى استنقعت السمن وهما  
 لا يدرى أن من أمرهما شيئاً .  
 ويفيق العاشقان وقد ملأ السمن أرض البيت .  
 فتقول ليلى : أرأيت ماذا فعلنا يا قيس .  
 فيرد قيس وهو لا يزال فى سباته :  
 لو أنصف الدهر ما فارقتمكم أبداً ولا تنقلتُ من ناس إلى ناس



يا لهذا العشق المجنون .

لقد أسرع قيس إلى أبيه بالسمن .. ويقلب ملؤه الجنون والعشق  
معا .. وكان قيس ينتظر من أبيه أو أمه أن يطلب أيهما منه شيئا .. فيسرع  
به إلى بيت ليلي .. ليحضره بعد أن يراها .

وكلما مرت أيام لا يريدون من بيت ليلي شيئا .. يحتال على لقائها  
بأسباب وعلات .. تنم عن عشقه وجنونه .

وذات مساء شتوى أرسلته أمه إلى بيت أم ليلي ليحضر نارا .. وتلفح  
قيس بُرْد ثقیل . وأسرع إلى بيت ليلي .

وتستقبله ليلي .. بالنار .

وكعادتها وقفا يتها مسان حتى احترق الوعاء الذى فيه النار .. ووصلت  
النار إلى البُرد الذى يلبسه قيس . وهو لا يدري من أمره شيئا .. ولا يحس  
بهذا اللهب القاسى .

ويخلع قيس بُرده .. لعله يحتوى النار .. فاحترق البُرد وما استكملا  
حديثهما الجميل .. وأخذ يحدث النار :

يا موقد النار يذكيها ويخمدها قرُ الشتاء بأرياح وأمطار  
قم فاصطل النار من قلبى مضربة فالشوق يُضرمها يا موقد النار

وينطلق وجدان قيس بالشعر .. ويتدفق أنهارا وجداول .. ويشيب  
لبلى وتطير أشعاره هنا وهناك .. إلى أن تصل إلى أسمع أبى ليلي ..  
انها فى عينيه أجل النساء .. وأظرفهن .. وأحسنهن جسما وعقلا ..  
وأملحهم شكلا .. أو كما يقول :

أخذت محاسن كل ما ضنّت محاسنه بحسنه  
كاد الغزال يكونها لولا الشوى ونشوز قرنه

وأما حبه لها .. فيفوق كل تصور .. وكل حد .



فحبك أنساني الشراب وبرده  
وحبك أنساني الصلاة فلم أقم  
وحبك أبكاني بكل مكان  
لربى بتسيح ولا بقران

ويقول أيضا :

أحبك يا ليلي محبة عاشق عليه جميع المصعبات تهون  
أحبك حبا لو تحبين مثله أصابك من وجد على جنون  
ألا فارحمي صبا كثيبا معذبا حريق الحشا مضى الفؤاد حزين  
قتيل من الأشواق أما نهاره فباك وأما ليله فأنين

وفتى بلغت حاله كذلك .. واختلط لديه الايمان بالوثنية .. والنهار  
بالليل ، والعقل بالجنون .. والصعب باليسير .. والنعيم بالعذاب ..  
لفتى غريب عن الناس لكنه ليس غريبا عن معشوقته !

لقد نسي قيس في حب ليلي كل شيء .. حتى نفسه ..  
نسى أنه يعيش .. إلا من أجلها ..

وأنه يموت .. إلا من أجلها ..

وأنه يشرب .. وأنه يصلى .. وأنه يقرأ القرآن .

أما ليلي .. وآه من ليلي .. عند قيس .. ومن قيس عند ليلي .. ان  
ليلى عند قيس كل شيء في نفسه وفي حياته .

فماذا تكون ليلي ؟

أهى تلك الفتاة التى تتعلل ويسوقها الدلال والصد والهجر .. لكى  
تمتلك .

أم هى الحبيبة التى تخلت عن عنادها مقدرة إخلاص هذا العاشق ..  
وتبعد المسافة بين العاشقين . يشتعل القلب .. حتى يلتقى اللهب  
باللهيب .. والحلم بالحلم .. والجنون بالجنون .



تكاد شخصية قيس تدخل في مجال الأسطورة ابتداء من الآن ..  
لقد صار عشقه لليلي حديث الناس .. وصار شعره على كل لسان ..  
والعرب تعد ذلك مدعاة للمنع والتفريق والحرمان بين العاشق  
والمعشوق .

علم أهل ليلي بما يقوله قيس في ليلي .. وأدركوا مبلغ هيامه وأشواقه  
وغرامه .. فحالوا بينه وبينها .. وانطلق هائما على وجهه مشتتلا بالشوق ..  
والأمل معا .

لقد كان قيس جميل الوجه .. راوية للشعر .. حلو المنطق .. مديد  
القامة .. جعد الشعر - كما وصفه معاصروه - .  
وحينما بدأت مأساته .. صار مصفرا هزيلا .. ضعيف البنية .. مجهد  
العينين .. تدعو حاله إلى الاشفاق .. ولسان حاله يقول :

متى يشتفى منك الفؤاد المعضبُ	وسهمُ المنايا من وصالك أقربُ
فبعدُ ووجدُ واشتياقُ ورجفةُ	فلا أنت تدنيني ولا أنت أقربُ
كعصفورة في كف طفل يزُمُّها	تذوق حياض الموت والطفل يلعبُ
فلا الطفل ذو عقل يرق لما بها	ولا الطير ذو ريش يطير فيذهبُ
ولو كان لي قلبان عشت بواحد	وأفردت قلباً في هواك يعذبُ
ولي ألف وجه قد عرفت طريقه	ولكن بلا قلب .. إلى أين يذهبُ

لقد أحرق الشوق قلبه .. وفتت كبده .. وعظم داؤه .. فلا شفاء  
ولا عودة .. اختلط عقله .. فترك الطعام والشراب .. وطالت لحيته  
وتوحش .. فلم يجد مأوى لجنونه هذا خيرا من جبل التوباد .. مرتع  
الذكرى .. والحب .. والهمس الجميل ..

انه يعرف أن جبل التوباد قريب .. كان يسرع اليه مع مشرق الشمس  
وهو صبي صغير ، وهو يتذكر أيضا أن الشمس كانت عن يمينه .. إذن





ينطلق إلى هذا الاتجاه ..

وجعل قيس الشمس عن يمينه .. وانطلق هائثا على وجهه يطلب جبل  
الذكرى .. جبل التوباد .. وظل يسير ويسير .. في لفح الصحراء ..  
حتى علت الشمس فوق رأسه ولم يصل إلى التوباد .  
إنه لا يود أن يسأل أحدا عنه .. فسيدله قلبه عليه لا محالة ..  
وتصبح الشمس عن شماله .. ولا يجد جبل التوباد .  
لا بد أنه ضل الطريق .. كما ضل عقله غما .  
توقف من التعب ... لجأ إلى ظل ربوة .. أخذ يكي ويكي .. حتى  
سمع أصوات قافلة قادمة نحوه .

هب إليها يطلبها .. أسرع إلى رجل منها .. سأله :

— بأبي أنت .. أين التوباد من أرض عامر .

دهش الرجل لسؤال المجنون .. ثم ضحك ضحكة عالية وأجاب :

— أين أنت من أرض عامر أيها الرجل .. إنك على مشارف الشام ..

— الشام .

— نعم يا رجل .

— وكيف لي بالتوباد يا أخى .

— عليك أن تؤم النجم الذى يظهر هنا (وأشار إلى موضع فى السماء)

لا تتركه أبدا ..

— شكرا لك يا أخى

كان على قيس أن ينتظر حتى تغيب الشمس ويظهر هذا النجم ..

فيواصل بحثه ويعود أدراجه مرة أخرى .

ويمضى قيس لا يشنيه ظلام الليل .. ولا تخيفه الوحوش الضارية ..

ويجعل النجم فى عينه .. ويظل يسير .. ويسير .. ليلة .. وليلة ..

وليلة .. حتى أضناه السير .

ويلجأ إلى واحة خضراء .. يأكل من أشجارها .. ويشرب من



مياهما .. ويتأمل قدرة الله في الطبيعة .. ويندهش حين يرى قومها ..  
وينكرهم ..

ويسأل أين هو من التوباد .. وأرض بنى عامر .  
فيقولون : انك بأرض اليمن .. أين أنت من أرض بنى عامر .. عليك  
بنجم كذا وكذا .

ويظل قيس هائماً .. غائبا .. حائراً .. يتراوح بين الشام واليمن ..  
وبين الشرق والغرب .. لا يعرف ليله من نهاره .. ولا شمس من  
قمره .. واختلطت في عينيه النجوم .. فغابت عنه .. ورحلت إلى آفاق  
أخرى .

وبعد رحلة طويلة مضية .. يبتدى إلى جبل التوباد .  
أأنت أيها التوباد .. أأنت ياطفولة الحب والشوق .  
يخاطب قيس التوباد .. وينكب على وجهه فوق رماله شوقاً وحنيناً  
وبكاء .. وكأنه يستمع إلى التوباد .. يفرح للقاءه .. ويحفف دمع  
عينيه .. ويحتضنه بعد طول غياب فيحكى عن ذلك قائلاً :

وأجهشت للتوباد حين رأيته	وهلّل للرحمان حين رآني
وأذريت دمع العين لما رأيته	ونادى بأعلى صوته .. ودعاني
فقلت له أين الذين عهدتهم	حواليك في خصب وطيب زمان
فقال : مضوا واستودعوني بلادهم	ومن ذا الذي يبقى مع الحدثان
وإني لأبكي اليوم من حذري غدا	فراقك .. والحيان مؤتلفان
سجالاً وتهتاناً ووبلاً وديمة	وسحاً وتسجماً إلى هملان

ويظل قيس يعيش في ظل التوباد زمناً يتنسم ذكريات الماضي .. إلى أن  
قلق عليه أهله .. فأرسلوا من يبحث عنه هنا وهناك .. حتى أعادوه إلى  
الحي في غير وعيه .



وأسرعت أمه إلى ليلى تخبرها بما آل اليه حال قيس .. لقد ترك الطعام  
والشراب وذهب حب ليلى بعقله .  
أخبرتها أمه بحال قيس وقالت لها :  
— لو جئته يا ليلى وقتا .. لعله يثوب إلى عقله .  
قالت ليلى لأم قيس :  
— أما نهارا فلا .. لأننى لا آمن قومي على نفسى .. وسآتيه ليلا ..  
وعادت الأم إلى ابنها تخبره بمقدم ليلى فى الليل .  
ليلى قادمة إذن .. حبة القلب والعين . نعمة الله لقيس .  
دخلت عليه ليلى .. وشهقت لحاله :

أخبرتُ أنك من أجلى جنتنَ وقد فارتَ أهلك لم تعقل ولم تفقِ  
وأفاق قيس على وجود ليلى .. فكف عن هذيانه منشدا :  
قالت جنتنَ على رأسى فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين  
الحب ليس يفيقُ الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون فى الحينِ  
لو تعلمين إذا ما غبتِ من سقمى وكيف تسهر عيني لم تلوميني

فبكت ليلى .. لحال حبيبها .. وتحدثا حتى كاد الصبح يسفر .. ثم  
ودعته ليلى وانصرفت .. وهو لا يدرى أن هذه الليلة كانت آخر عهده  
بها .

وجاءت يوماً نسوة إلى أم قيس .. يسألنها عن قيس .. ويطلبن اليها أن  
يجلسن اليه .. فأدخلتهن عليه .. وهو ينظر إلى الفراغ بلا طائل ..  
وتحلقن من حوله .. فأفاق قيس عليهن .. وسأل :  
— ما بالكن ؟

قلن : نشفق عليك يا قيس .. ولا ندرى ما الذى دعاك إلى ما أنت فيه  
من ليلى .. وما ليلى إلا واحدة من نساء القوم .. فهل لك فى أن تصرف



هواك عنها إلى إحدانا .. فنجزيك بهواك .. ونعيد اليك ما ضاع من عقلك .. ويصح جسمك ؟

قال قيس : لو قدرت على هذا لفعلت .. لو قدرت على صرف الهوى عنها لايكن لصرفته عنها .. وعن كل أحد بعدها .. وعشت في الناس مستريحا ..

قلن له : غريب أمرك يا قيس .. بالله ما أعجبك فيها حتى تملك عليك عقلك وقلبك وحياتك ..  
قال قيس : آه !

كل شيء رأيته وشاهدته وسمعتة منها أعجبنى ..  
والله ما رأيته شيئا منها قط إلا كان في عيني حسنا .. ولقد جهدت أن يفتح منها عندي شيء .. أو يعاب شيء .. لأسلو عنها .. فلم أجده ..  
وكيف أعزى النفس بعد فراقها .. وقد ضاق بالكتمان من حبها صدرى وأجش قيس في البكاء .. فتركته النساء ومضين عنه .. وهن يقلن :  
— انه لمجنون حقا !  
وسمعتة وهو يودعهن :

وإني لمجنون بليلي موكلٌ ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا  
إذا ذكرت ليلي بكيت صباة لتذكراها حتى يبُلُّ البكا .. الخدا  
فيارب إن لم تقسم الحب بيننا سواءين فاجعلني على حبها جلدا

ولم يجد قيس خيرا في القعود داخل بيت أبيه .. وعزم على الخروج مرة أخرى إلى الجبل .. وإلى الاقتراب من بيت ليلي .  
ودخل عليه أبوه وهو على أهبة الرحيل .. فقال له :  
— إلى أين يا ولدى ..

— إلى حال سبيل يا أبي .. ليس لي مقام هنا .

— يا ولدى .. عنك ما تحمله من حب ليلي .. أسلها بغيرها .



— والله يا أبت ما أجد إلى السلو سبيلا .. وإنى لفى أعظم الكرب  
والبلاء .  
ثم أنشأ يقول :

لئن كان لى قلب يذوب بذكرها      وقلبُ بأخرى .. إنها لقلوبُ  
فيا ليل جودى بالوصال فأنى      بحبيك رهن والفؤاد كيئِبُ  
لك الله إنى وأصل ما وصلتنى      ومثني بما أوليتنى ومشيئُ  
وآخذ ما أعطيت عفوا وإننى      لأزور عما تكرهين هيبُ  
فلا تتركى نفسى شعاعا فإنها      من الوجد قد كادت عليك تذوبُ

فخرج أبوه من عنده يائسا من إصلاح حاله ..  
وانطلق قيس مرة أخرى إلى الصحراء .. يحوم حول بيت ليلي تارة ..  
ويلجأ إلى دفء التوباد تارة أخرى ..  
ويذهب إليه أصدقاؤه حيث يكون .. لعلهم يخففون عنه معاناته ..  
بلا جدوى ..

وكان لقيس ابنا عم يأتياه .. فيحدثانه .. ويؤنسانه .. ويسرّيان عنه  
فى وحدته .. فوقف عليهما يوما وهما جالسان .. فقالا له :

— يا قيس .. ألا تجلس كما نجلس .  
قال قيس : لا .. بل أمضى إلى منزل ليلي .. فأترسمه .. وأرى  
آثارها فيه .. فأشفي بعض ما فى صدرى  
فقالا له : ونحن معك لا نتركك .

فقام الثلاثة وانطلقوا حتى اقتربوا من دار ليلي ..  
ووقف قيس بها طويلا .. يدور حولها .. ويتبع آثارها .. ويبكى ..  
ويقف فى أقرب موضع منها .. وكان مما أنشأه قوله :

فواكبدا من حب من لا يحبني      ومن زفرك ماهن فناء



أريتك ان لم أعطك الحب عن يد ولم يك عندي إذ أبيت إباء  
أتاركتي للموت .. إلى ميت وما للنفوس الهالكات بقاء  
إذا القوم قالوا وردهن ضحى غد تواهقن ختي وردهن عشاء  
وحاول ابنا عمه أن يرداه إلى صوابه .. ويجعله يسلو ليلي قليلا ..  
ويعود إلى عقله .. فكان ينظر إلى بيت ليلي من بعيد ويقول :

وقالوا لو تشاء سلوت ليلي فقلت لهم .. فإن لا أشياء  
وكيف وحبها علق بقلبي كما علق بأرشية دلاء  
لها حب تنشأ في فؤادي فليس له - وإن زجر - انتهاء

ويعود قيس مرة أخرى إلى حيث كان !  
وذات يوم .. مر قيس .. في توحشه بحى ليلي .. فلقى ليل فجأة ..  
فعرفها وعرفته .. فصعق .. وخر مغشيا عليه .  
وتجمع فتیان الحى .. فأخذوه .. ومسحوا التراب عن وجهه ..  
وأسندوه إلى صدورهم .. وسألوا ليلي أن تشفق عليه وتقرب منه .. فرقت  
له لما رآته من حاله .. وقالت :  
— لا يجوز أن أفتضح به .  
واستدعت أمة لها وقالت :

— اذهبي إلى قيس وقولي له : ليلي تقرأ عليك السلام .. وتقول لك :  
أعزّر على بما أنت فيه .. ولو وجدت سبيلا إلى شفاء دائك لوقيتك  
بنفسى منه !

فمضت الخادمة إلى حيث كان قيس وأخبرته بقولها .. فأفاق وجلس ..  
وقال : أبلغها السلام .. وقولي لها : هيهات هيهات .. ان دائي ودوائي  
أنت .. وان حياتي ووفائي لفي يديك .. ولقد وكلت بى شقاء لازماً وبلاء  
طويلا .



فوالله ثم الله إني لدائب  
ووالله ما أدرى علام هجرتني  
أقطع جبل الوصل فالمت دونه  
أم أهرب حتى لا أرى لى مجاورا  
أحن إلى ليلي وإن شطت النوى  
يقولون ليلي عذبتك بحبها  
أفكر ما ذنبي إليك فأعجب  
وأى أمورى فيك ياليل أركب  
أم أشرب رنقا منك مولىس يُشرب  
أم أفعل ماذا .. أم أبوح فأغلب  
بليلى كما حن اليراع المثقب  
ألا حبذا ذاك الحبيب المعذب

وتعود الخادمة إلى سيدتها وتحكى لها ما كان من قيس .. فتجهش ليلي  
بالبكاء والشوق .. وتمضى الأيام .. وتحط أنقاها أكثر على عقل قيس ..  
ويحار أبوه وعشيرته فى أمره .. ويحتال أبوه عليه .  
أرسل اليه رجلا يخبره أنه لقي ليلي وجلس اليها .. ووصف الرجل إلى  
قيس صفات من ليلي ومن كلامها مما يعرفه قيس جيدا .. حتى تنبه قيس  
لحديث الرجل .. فوجدها الرجل مدخلا جيدا لما دبره مع أبيه .  
قال له الرجل : أئدرى يا قيس ما تقول عنك ليلي .. إنها تشتمك  
وتسبك .. وأنت تخلص لها وتعشفها .. وهى تقول للناس عنك إنك  
كاذب فاضح لها .. وأنها تنكر أنها تعرفك أو اجتمعت معك !  
ولم تنجح حيلة الرجل وأبى قيس .. بل ازداد نشاط قيس .. فثاب إلى  
عقله بمجرد ذكر أخبارها - الملققة - وأنشأ يقول :

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضى  
إذا هبت الريح الشمال .. فلأنما  
قريبة عهد بالحبيب .. ولأنما  
حلال ليلي شمتنا وانتفاصنا  
ويصدع قلبى أن يهب هبوبها  
جواى كما تهدى إلى جنوبها  
هوى كل نفس حيث كان حبيبها  
هنيئا .. ومغفور ليلي ذنوبها

ويمضى الرجل من عند قيس خائب السعى .  
وكان قيس يألف الحر والبرد .. والشمس الحارقة والسيل .. لا يشعر



بتغير الطقس .  
وأراد يوما أن يلقي بنفسه من أعلى الجبل .. فقد يش من حياته من  
محبوبته التي لا يراها .. ولا ترد على لوعته .  
وكاد يفعل ذلك لولا أن لحق به جماعة من أصحابه .. ولما سأله لماذا  
تفعل ذلك بنفسك أجابهم انه يريد أن يلقي بنفسه مع ريح نجد حيث  
تذهب به إلى ليل .  
وفي اليوم التالي أقبل عليه نفر من هذه الجماعة .. واختاروا منهم  
واحدا .. وقدموه اليه قائلين :  
— إنه رجل قادم من ناحية نجد .  
فتنفس قيس الصعداء حتى ظنوا أن كبده تصدعت .. ثم جلس يسأل  
الرجل عن نجد وأحيائها .. وأوجعه الوصف .. ففاضت نفسه شعرا :  
ألا حبذا نجد وطيب تراها وأرواحها إن كان نجد على العهد  
وتبلغ الجماعة أباه عما كان ينوي عليه قيس .. فيسرع اليه مع جمع من  
أعمامه وأخواله .. فلاموه .. وعذلوهم وقالوا له :  
— لا خير لك في ليلي .. ولا خير لها فيك .. وقد ردنا عنها .. ولك  
في بنات عمك من هي خير لك منها .. فلو تزوجت واحدة منهن نرجو أن  
يزول عنك بعض ما في قلبك من حبا .  
وأطرق قيس برهة .. ثم بكى .. وقال قصيدة طويلة منها :

يلومون قيسا بعدما شفه الهوى      ويات يراعى النجم حيران باكيا  
فياعجبا ممن يلوم على الهوى      فتى دنفا أمسى من الصبر عاريا

فلما سمعوا أبياته أسمعوه ما يكره .. وانصرفوا عنه يائسين .  
وهكذا غرق قيس في جنونه بليلي .. وأغلق على نفسه عالمها وحده .. .  
وكف نفسه واحساسه عن كل شيء حوله سواها .  
بل وجدناه يهيم في الصحراء على وجهه .. يعيش مع الوحوش والطيور





وقسوة الطبيعة لعله يجد فيها مالم يجده في البشر من سلوى .  
 ويبلغ به الجنون حدا شديدا . . وكان كلما رأى شيئا ينتمى إلى نجد  
 هاجت الذكرى داخله واشتعل شوقا وحنينا . . وقضى يومه ذاهلا عن  
 نفسه .

لك الله يا قيس . . وعلى عقلك السلام . . وعلى قلبك الصدق  
 والعشق .

### ٤

ويضيق أهل ليلي بالمجنون . . ويضيقون بأهله راتحين غادين يطالبونهم  
 بزواج قيس وليلى . . وأبوليل يأبى . . ويشكوقيسا إلى السلطان فيهدر دمه  
 لهم . . ولكنه لم يبال بالخطر . . فكان يغشى حى ليلي ويقول :  
 — الموت أزوِّج لى .

ويرتحل أهل ليلي من حيهيم . . ويبعدون . . ويعرف قيس إلى أين هم  
 ذاهبون . . فيسرع اليهم . . ويلصق صدره بمنزل ليلي ويمرغ خده في  
 ترابه .

وكان قيس بعد رفض والد ليلي تزويجه . . يهيم في الحى وحده . .  
 ويغيب أياما ويتفرس الناس . . ويهمل ثيابه . . فكان يلفت بذلك أنظار  
 من يراه . . بل أصبح حديث الناس في القبايل . . وموضع عطف  
 كثيرين . . فهو ابن سيد الحى . . وكان من قبل قد عرف بالذكاء . .  
 ورواية الشعر والأخبار . . فكف عن ذلك كله إلا ذكر ليلي .

وقد رآه مرة عمر بن عبد الرحمن بن عوف . . عامل مروان بن الحكم على  
 الصدقات . . فاقترب منه . . وكلمه . . وطلب منه أن ينشده شعرا  
 فأنشده . . وأعجب به فسأله قيس أن يخرج معه . . فأجابه إلى ذلك . .  
 ولكن قوم ليلي أخبروه بخبره . . وأن السلطان أهدر دمه . . فرجع عما وعد  
 به . . وأمر له بإبل . . فردها قيس وانصرف مغضبا .



وكان قيس يريد من مصاحبة ابن عوف أن يأتي حتى ليل . . وربما حل ذلك والد ليل على الرجوع عن رفضه .

ورثى لحاله ( نوفل بن مساحق ) عامل ابن عوف . . بعد أن رآه في حالة تولّه وهيام وجنون . . فكلّمه ابن مساحق ، في أمر ليلي فأفاق قيس وأخذ يشكو له ما فعلوا به . .

فقال نوفل : أتحب أن أزوجكما .

قال قيس : وهل إلى هذا من سبيل .

فوعده نوفل ببذل الجهد . . ودعا له بثياب جديدة . . وصار قيس على هذا الحال كأصح أصحابه . . يحدّثه وينشده .

ولما بلغ ابن مساحق قوم ليلي . . تلقوه بالسلاح وقالوا له :

— ان السلطان قد أهدر لنا دم المجنون . . والله لا يدخل منازلنا أبدا . فأقبل ابن مساحق بهم وأدبر . . فأبوا عليه . . فأثر رد قيس على سفك الدماء في الحرب . . ورجع قيس دون مراده .

ويبلغ البلاء أشده حينما خطبت ليلي إلى واحد من أهلها - من بني ثقيف - يدعى « وردا » فأعجب بجماها . . وطلب يدها . . وفي ذلك يقول قيس :

. ألا إن ليلي العامرية أصبحت تقطع إلا من ثقيف حبالها  
هو حبسوها محبس البدن وابتغى بها المال أقوام . . ألا قل مالها

وخشى أهل قيس عليه . . فحبسوه وقيدوه !

وهنا طلق قيس الدنيا . . وهام مرة أخرى في البرية . . وخلوا سبيله مع الوحوش . . يذهب أهله إليه كل يوم بطعامه . . فلا يأكل .

ويجتمع أهل الحى إلى والد المجنون . . وينصحونه بأن يحج بولده . . لعله يجد برأ لما به . . ففعل .

وجاءه أبوه . . وأخذه إلى الكعبة وقال له :



— تعلق يا ولدى بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلي .  
ويرد قيس : اللهم زدني ليلي حبا .. وبها كلفا .. ولا تنسني ذكرها  
أبدا .

وحينما رأى قيس الناس محرمين بمكة يدعون ربهم .. أنشد :

دعا المحرمون الله يستغفرونه بمكة وهنا أن تمحى ذنوبها  
وناديت يا رباه أول سؤلتى لنفسى ليلي ثم أنت حسيبها  
فكم قائل قد قال تب فعصيته وتلك لعمرى توبة لا أتوبها

ويعود الحجيح ..

ويعرون ومعهم المجنون بزوج ليلي .. وهو جالس يصطلى في يوم  
شاق .

فوقف المجنون عليه وسأله :

بربك هل ضمنت إليك ليلي قبيل الصبح أوقبلت فاهها  
وهل رفت عليك قرون ليلي رفيف الأفحوانة في نداها

فقال زوج ليلي :

— اللهم قد حلفتني .. فنعم .

فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر .. فلما فارقهما حتى سقط  
مغشيا عليه .. فقام زوج ليلي مغموما بفعله متمجبا من حاله .  
ومرة .. خرج زوج ليلي وأبوها إلى مكة .. فأرسلت ليلي بأمة لها إلى  
قيس .. ودعته لزيارتها .

ولم يصدق قيس هذه الدعوة .

قالت له الأمة : سر إلى سيدتي في كل ليلة .. مادام القميص على ستر ..

فكان يختلف إليها .. حتى قدموا .



وبلغ قيس أن زوج ليلي ذكره وسبه قائلا :  
 — أو بلغ من قدر قيس بن الملوح أن يدعى حبة ليلي .. وينوه  
 باسمها .  
 فقال قيس ردا عليه ليغيظه :

فان كان فيكم بعل ليلي فإنني وذي العرش قد قبلت فاها ثمانيا  
 وأشهد عند الله أني رأيتها وعشرون منها أصبعا من ورائها  
 أليس من البلوى التي لا شوى لها بأن زوجت كلبا .. وما بذلت ليا

لقد اشتد الهول على قيس منذ زوجت ليلي إلى ورد .. ان ذلك كان يعنى  
 عنده الموت وقد اشتد مرضه .. ولم تسأل عنه ليلي .. فقال :

فوالله ما أدرى بأية حيلة وأى مرام أو حظار أنخاطر  
 ووالله ما في القرب لى منك راحة ولا البعد يسلينى ولا أنا صابر

عزم زوج ليلي على الرحيل بليلي إلى بلده .. وبلغ قيسا أنه غاد بها  
 فاشتعل قلبه كراهية لهذا الرجل .. فقال :

أمزعة للبين ليلي ولم تمت كأنك عما قد أظلك غافل  
 ستعلم إن شطت بهم غربة النوى وزالوا بليلي أن لبك زائل  
 وأنك ممنوع التصبر والعزا إذا بعدت ممن تحب المنازل

ويرسل إليها رسولا بهذه الوصية :  
 — قف بحيث تسمعك ليلي ثم قل :

الله يعلم أن النفس هالكة باليأس منك ولكني أعنيها  
 فمضى الرجل إلى حى ليلي .. حتى بلغ دارها .. ولم يزل يرقب خلوه



حتى وجدها .. فوقف عليها ثم قال لها : يا ليلي .. لقد أحسن الذي  
يقول :

الله يعلم .

وأنشدها قول قيس .. فبكت طويلا ثم قالت :  
— أبلغه السلام وقل له :

نفسى فداؤك لو نفسى ملكت إذا      ما كان غيرك يجزيها ويرضيها  
صبرا على ما قضاه الله فيك على      مرارة فى اضطبارى عنك أخفيها

ولقيه ابن عم له .. فقال :

— يا أخى .. اتق الله فى نفسك .. فان هذا من عمل الشيطان  
فازجره عنك .. فأنشأ قيس يقول :

ياحبذا عمل الشيطان من عمل      إن كان من عمل الشيطان حبيا  
منيتها النفس حتى قد أضر بها      وأحدثت خلقا مما أمنها

ماذا تبقى بعد .. رحل الحبيب .. وانفطر القلب .. وتوحش العالم  
من حوله .. وقدت قلوب الناس جميعا من صجر .. فهى لا تعرف  
الحب .

ماذا تبقى بعد ؟

رحل زوج ليلي .. بليلي .

وانقطعت أخبارها عن الحى .

ونخاب أمل العاشق المجنون .

انه يذكر أنه وأبوه وأهله قد وقفوا مستترين ينظرون إلى موكب ليلي وقد



رحلت مع زوجها وقومها .. فلما رآهم قيس .. بكى وجزع .. فقال له  
أبوه :

— ويحك يا بني .. إنما جئنا بك متخفيا ليتروح بعض مابك بالنظر  
اليهم .. فإذا فعلت ما أرى عرفت .. وقد أهدر السلطان دمك ان مررت  
بهم .. فأمسك أو فأنصرف .. فقال :  
— مالى سبيل إلى النظر اليهم وهم يرتحلون .. وأنا ساكن غير  
جازع .. ولا باك .. فأنصرف بنا يابآت .

.....

ويحكى أن شيخا من بنى مرة خرج إلى أرض بنى عامر ليلقى المجنون ..  
فدلوه عليه .. وعرف أن أباه شيخ كبير .. وله اخوة رجال .. ولهم خير  
كثير .. وحكوا له حكايته قال لهم : دلوني عليه .  
فدلوه على فتى من الحى كان صديقا له .. وقالوا :  
— انه لا يأنس إلا به .. ولا يأخذ أشعاره عنه غيره .  
فأتاه الشيخ وسأله أن يدلّه عليه .. فقال :  
— ان كنت تريد شعره فكل شعر قاله إلى الأمس عندى .. وأنا ذاهب  
اليه غدا فان قال شيئا آخر أتيتك به .  
فقال الشيخ : بل أريد أن أراه .

فقال الفتى : إنه إن نفر منك نفر منى فيذهب شعره .. أطلبه فى هذه  
الصحارى وحدك فإذا رأيته .. فاقرب منه مستأنسا ولا تشعره أنك  
تهابه .. حتى لا يتوعدك ولا يتهدرك .. وأجلس صارفا بصرك عنه ..  
وانظر اليه أحيانا .. فإذا رأيته سكن من نفوره فأنشده شعرا غزلا .. وان  
كنت تروى من شعر قيس بن زريع شيئا فأنشده إياه فأنه ..  
فخرج الشيخ وحده يطلب قيسا فى الصحراء .. وقضى طوال يومه حتى  
وجبه جالسا على رمل قد خط فيه بأصبعه خطوطا فدنا منه غير منقبض ..  
فففر منه نفور الوحش من الإنس .. وإلى جانبه أحجار .. فتناول حجرا



فأعرض الشيخ عنه .. فمكث ساعة كأنه نافر يريد القيام .  
فلما طال جلوس الشيخ سكن قيس وأقبل يخط بأصبعه .. فأقبل الشيخ  
عليه وقال : أحسن والله قيس بن ذريح حين قال :

ألا يا غراب البين ويحك نبني بعلمك في لبني وأنت خبير  
فإن أنت لم تخبر بشيء علمته فلا طرت إلا والجناح كسير

فأقبل قيس على الشيخ وهو يبكي وقال :  
— أحسن والله .. وأنا أحسن منه قولاً حين أقول :

كأن القلب ليلة قيل يُغذى بلبلى العامرية أو يُرأخ  
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

فأمسك الشيخ عنه برهة .. ثم قال له : وأحسن ابن ذريح حين قال :

وإني لفن دمع عيني بالكبا حذاراً لما قد كان أو هو كائن

فبكى قيس حتى ظن الشيخ أن نفسه قد فاضت .. وقد رأى دموعه قد  
بلت الرمل الذي بين يديه .

ثم سنحت له ظبية فوثب يعدو خلفها حتى غاب عن الشيخ ..  
فانصرف عنه .. وعاد في اليوم التالي يطلبه فلم يجده .

وجاءت امرأة كانت تصنع له طعاماً .. فوضعت له طعام الأمس ..  
وفي اليوم الثالث جاء الشيخ ومعه أهل قيس فطلبوه .. فلم يجده ..  
وانطلقوا إليه في اليوم الرابع .. وبحثوا عنه حتى وجدوه في واد كثير  
الحجارة خشن وهو ميت بين تلك الحجارة .. فحمله أهله .. فغسلوه  
وكفنوه .. ودفنوه .. واجتمع فتيان الحى .. وفتيات الحى .

ولم تبقى فتاة من بني جعدة .. ولا بني الحريش إلا خرجت حاسرة



صارخة عليه تندبه .  
كما بكى فتیان الحى عليه أحر البكاء .  
وأقبل حى لیلی معزین . . وأبوها معهم . . فكان أشد القوم جزعا  
وبكاء على قیس وجعل يقول :  
— ما علمنا أن الأمر يبلغ به كل هذا . . ولكنى كنت امرأً عربياً أخاف  
العار وقبح الأحداث ما يخافه مثلى . . فزوجتها . . وخرجت من یدی . .  
ولو علمت أن أمره یجری على هذا ما أخرجتها عن یده . . ولا احتملت  
ما كان فى ذلك .  
وكان یوما لم يشهد العرب مثله بكاء على میت .  
وكانت النهاية .  
نهاية عاشق . . ونهاية قصة عشق مجنونة . . سجلها التاريخ نموذجاً  
للصدق والوفاء النادر .







قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ  
مَجْنُونُ لَبْنَى





فواكبدى على تسريح لبنى  
فكان فراق لبنى كالخداع  
تكنفى الوشاة فأزعجون  
فيالمناس للواشى الطاع  
فأصبحت الغداة ألوم نفسى  
على أمر وليس بمسئطاع  
كمغبون يعرض على يديه  
تبين غبنه بعد البيع  
قيس

ربما كان للجنون درجات وأحوال وهو يتراوح - فى اللغة - ما بين الإعجاب وزوال العقل ..

والعاشق بطبيعته لا يستقيم على حالة واحدة .. نهى تعلو وتهبط  
وتتذبذب استجابة لحالة المعشوق .. واستجابة لما يبدو عليه جبل الوصل  
بينهما من الشد أو الارتخاء .. ومن الهجر أو الإقبال .. ومن الوداع أو  
اللقاء .. وهكذا .

ومن ثم فإنها حالات نفسية لا تظهر العاشق بمظهر العاقل المترن .. بل  
تدخله إلى دائرة الجنون فى أى زاوية من زواياها .  
ونحن الآن نظرق هذه الدائرة من بوابتها الكبيرة .. لتقودنا إلى إحدى  
زواياها حيث نصطحب أحد العشاق المجانين .

إنه قيس بن ذريح بن سئة بن خذافة من قبيلة كنانة .. وكانت تسكن فى  
ضواحي المدينة المنورة .. وهو عاشق الحجاز .. عاصر صديقه عاشق نجد



قيس بن الملوح .

أما معشوقته فهي لبنى بنت الحباب . . من بنى كعب بن خزاعة . . في ضواحي مكة .

وحكايتهما لا يختلف عليها الرواة كثيراً إلا في نهايتها . . وقد أخبرنا الأصبهاني أنه استطاع أن يجمع أطرافها من مشايخه حتى ألف ذلك في حديث متسق ، إلا ما جاء مفرداً وعسر إخراجه عن جملة النظم فذكره على حدة .

كما أجمع الرواة أيضاً أن قيساً كان رضيع الحسين بن علي . . نشأ معا وتربيا معا . . وتوثقت صلتها طوال حياتها .

أما أبو قيس فقد كان ذا ثراء وحسب وفيرين . . وكان يسكن حاضر المدينة وقومه في ظاهرها .

وتبدأ خيوط قصة العاشقين . . لتكون من أكثر القصص ثراء وفنية . . فهي تتضمن الصراع بألوانه المختلفة وأبطاله أيضاً المختلفين . . وهي ترسم شخصيات القصة بدقة متناهية . . وهي تسوق عادات وتقاليد وقبائل تخص تلك البيئة العربية البدوية ولا تكاد تجيد عنها ، وحينما لعبت الظروف . . وانحرفت العادات والتقاليد عن مسارها قليلاً . . واجهتنا القصة بسلوكيات غريبة بعيدة عن المنطق والعاطفة والمألوف .

## ٢

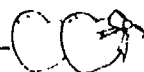
وتبدأ قصتنا بهذا البيت الذي ولد فيه قيس وحيداً لوالديه . . مما جعله موضع احتفاء وتدليل ورعاية من أمه . . وموضع تقدير ومحبة من أبيه . ويفتح قيس عينيه على هذه الحياة الرعدة . . وهذا الحب الوفير . . وهذه القبيلة (عذرة) التي اشتهرت بالعاطفة المتدفقة . . وجمال النسوة . . وشاعرية الرجال .



ويتفرق على لسانه الشعر .. يصف به جمال الطبيعة وجمال المرأة ..  
 لكنه يحس في داخله دائماً أن المرأة لم تدخل بعد إلى ساحته .. فمزال الشعر  
 مدخراً حتى يجد معشوقته .. فيغرقها شعراً وعشقا .  
 وربما تلعب الأقدار دورها في صنع هذا التواصل بين قلين .. ثم يجتهد  
 العاشقان في وضع منطق ما لما يحدث .. وحينما يعجزان عن ذلك ..  
 يتركان الساحة للعاطفة المشتعلة تفسر لهما ما عجزا عنه .  
 لقد ساق الأقدار قيساً إلى خيام بني كعب بن خزاعة .. وكان الحرقد  
 احترق واشتد .. فاستقى ماءً من إحدى الخيام .. وكانت خيمة لبني بنت  
 الحباب الكعبية .. والعرب مشهورون بالكرم وإيواء الضيف .  
 وبرزت إليه لبني امرأة مديدة القامة .. بهية الطلعة .. حلوة الكلام ..  
 سهلة النطق .. فناولته الماء .

كان يشعر بالعطش الشديد .. لكنه حينما رآها ازداد عطشه .. ولم يروه  
 الماء .. فقد وقعت في نفسه .. وأضرمت في داخله ناراً لا تهدأ .  
 أما لبني فقد وجدت قيساً قد أجهده السفر والحر .. فعرضت عليه أن  
 يستريح عندهم .. فأجاب كأنه كان ينتظر ذلك منها .. فمهدت له  
 متكاً .. ودعت أباها فرحب به .. ونحر له وأكرمه .  
 ولم يطل مقام قيس لدى لبني .. فقد استراح وشبع .. ولم يجد سبباً في  
 إطالة المقام .. فانصرف شاكراً ذاكراً .. وأحس بعشق لبني يثور داخله  
 ويشتعل .. وحاول إطفاءه دون جدوى .. فتفجر شعراً فيها حتى شاع  
 شعره وتناقله الناس .

ماذا يمكنه أن يفعل الآن وقد ملكت لبني عليه كل شيء؟  
 وجد نفسه مسوقاً إليها مرة أخرى .. فراها تزيد حفاوة وكرماً ..  
 فوجدها فرصة سانحة .. لكي يشكو لها ما يلقي من حبها .. وكاد يجن  
 حينما وجدها أيضاً هي الأخرى تشكو له ما تلقى من حبه .. وأطال



العاشقان شكواهما .. وأدرك كل منهما ماله عند صاحبه .  
 وفجأة يصمتان .. ماذا بهما .  
 إنها يعرفان تماماً ما يحدث للعشاق الشعراء .. ويعرفان تماماً أن العرب  
 لا يسلمون بأن يتزوج الرجل فتاة منهم قد تغزل بها وأنشد فيها الأشعار .  
 لكم الله إذن أيها العاشقان !  
 وهل يمكن أن تلعب الأقدار دوراً آخر يختلف عن كل قصص العشق ..  
 ربما !

### ٣

يودع قيس لبني وفي قلبه شيء عظيم ..  
 إنه ينطلق إلى أبيه الذي يقدره ويحبه .. ويصارحه بما آل إليه حاله من  
 حب لبني .  
 كان أبوه جالساً مستريحاً .. وكان الحوار بينهما يسوده الحب والهدوء !  
 تساءل الأب : من لبني هذه يا بني ؟  
 قال قيس : إنها بنت الحباب الكعبية يا أبي .  
 ورأى الأب أنه ينبغي أن يتخلى عن راحته .. فولده يريد أن يتمرد على  
 تقاليد القبيلة .. ويتخلى عن بنات عمه إلى فتاة أخرى من قبيلة أخرى .  
 ماذا يفعل .. وليس له غير قيس من الأولاد .  
 رأى أن عليه إقناع ولده بهدوء .  
 قام الرجل من جلسته وضم ولده إليه وأجلسه جانبه وقال مبتسماً :  
 — يا بني لا حاجة لك بفتيات غريبات .. عليك بإحدى بنات عمك  
 فهن أحق بك .  
 قال قيس : لكنني أحب لبني يا أبي .



قال الرجل : أليست بنات عمك أحق بك وبشروى .. وفيهن أجمل من فتاتك هذه .. انطلق يا قيس .. وعد إلى عقلك .. وفكر فيما قلته لك .  
وينصرف قيس حزينا .. لقد بدأت الأشواك تنبت في طريقه .. لكن لا يزال أمامه أمل .. إن أمه لا تزال تدله .. وتقدم له الحب .. وتحقق له ما يريد .. ولن تخذله في هذا الأمر .

أسرع قيس إلى أمه .. وشكا إليها حاله .. واستعان بها على أبيه .. وطال بينهما الحوار .. لكنه انتهى كما انتهى مع أبيه من قبل .  
هل يبقى له معين بعد ؟

ويذكر قيس صديقه ورضيعه الحسين بن علي بن أبي طالب .. سبط النبی عليه السلام .. إنه من أهل البيت .. ولا بد أن له شأنًا لدى العرب جميعا .

لن يخسر شيئا لو ذهب إليه وطلب منه الوساطة لدى أبيه .. ولدى أبي لبني أيضا .

ويقبل الحسين رضى الله عنه الوساطة .. وينطلق مع قيس إلى أبي لبني .. ولما دخلا عليه رحب بهما .. وأعظم الحسين وقام إليه مرحبا متعجبا :

— خيراً يا ابن رسول الله .. ما جاء بك إلينا .. ألا بعثت إلى فأتيتك أنا .

قال الحسين :

إن الذى جئت فيه يوجب قصدك .. وقد جئتُك خاطباً ابتك لبني إلى

قيس بن ذريح .

قال الرجل : يا ابن رسول الله .. ما كنا لنعصى لك أمراً .. وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه .. وأن يكون



ذلك عن رضاه .. فإننا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبة علينا .

قال الحسين : الحق معك يا أبا لبني .  
وينطلق الحسين إلى ذريح حافيا على حر الرمل .. وكان القوم مجتمعين .. فقام الجميع إليه إعظاما وترحيبا .  
فقال لذريح : أقسمت عليك إلا خطبت لبني لابنك قيس  
قال ذريح : السمع والطاعة لأمرك .  
وقام الجميع ومعهم الحسين حتى أتوا لبني فخطبها ذريح على قيس إلى أبيها وزوجه إياها .. وزفت إليه بعد ذلك .



وكان قيس أبر الناس بأمه .. لكن يبدو أن عشقه للبني قد ألهاه عن مواصلة هذا البر .. وأحست أمه بذلك فجعلت تحدث نفسها :  
— لقد شغلت هذه المرأة الغريبة قيساً عن برى ورعايتي ومحبتة لى بالرغم من أنها عاقر لا تلد .. وتثور في داخلها عاطفة الغيرة والانتقام ... فقد استأثرت لبني بوحيدها .. وعزمت على التفريق بينهما بالكيد والمراوغة .  
ويحدث أن يصاب قيس بمرض شديد .. مكث فيه طويلا .. فلما برىء منه دخلت على زوجها ذريح تقول :  
— أرايت كيف مرض قيس .. لقد خشيت أن يموت وقد حرم الولد من هذه المرأة .. وأنت ذو مال .. ومن حقلك أن تنعم بحفيد يخلد اسمك .  
قال الرجل : ربما تأتينا لبني بولد قريبا .  
قالت أم قيس : إن لها وقتا لم تنجب فيه .. فكيف تأمل ذلك في الغد .. إنك شيخ كبير .. وأخشى أن يضيع مالك بلا وريث .. فزوج





ولذلك بغيرها لعل الله يرزقه ولداً .

لقد ضربت أم قيس على هذا الوتر الحساس .. لدى زوجها ..  
وأخذت تلح عليه .. وتستخدم كل أسلحتها في إقناعه .. حتى اقتنع .  
وذايت يوم كان ذريح مع قومه مجتمعين .. فدعا ولده .. وقال له :  
— يا قيس .. لقد دعوتك أمام قومك حتى يكونوا شهوداً علينا .. لقد  
أصابتك علة شديدة يا ولدي .. وأنجأك الله منها .. لكنني خفت عليك  
ولا ولد لك وليس لى سواك .. وامرأتك هذه ليست ولودا .. فمن يكون  
وريثي يحفظ لى مالى ويبنى .

قال قيس : وبماذا تشير على يا أبى .

قال ذريح : تتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقربه  
عينك وأعيننا .

وهنا صاح قيس : لست متزوجاً غيرها أبداً يا أبى .

قال ذريح : إن فى مالى سعة وكثرة .. فاختر ماشئت من الإماء  
قاطعه قيس : لن أسوءها بشيء من هذا والله .

وتعقد الموقف .. وهمهم الجميع .. ولم يجد الأب سوى التهديد ..

قال :

— أقسم عليك أن تطلقها .

فأبى قيس أن يفعل وقال :

— الموت والله أيسر على من هذا ، ولكنى أعرض عليك واحدة من

ثلاث .

قال ذريح : وماهى .

قال قيس : لك أن تتزوج .. فلعل الله أن يرزقك ولداً غيرى

قال ذريح : لم يعد لدى ما يحقق ذلك يا ولدي .. فقد بلغت من الكبر

مداه .



قال قيس : إذن دعني أرحل عنك بامرأتى وأريحك منى .  
 قال ذريح : ولا هذه أرضها .  
 قال قيس : أدع لبنى عندك وأرحل وحدى لعلى أسلوها .  
 قال ذريح : لا أرضى إذا لم تطلقها .  
 ثم أقسم ذريح إذا لم يفعل قيس ما يريد لا يظللها سقف بيت واحد .



لقد وصل الموقف إلى طريق مسدود .. وعصف ذريح بقلب ولده قيس  
 وقلب لبنى معا .. ماذا يفعل قيس .. وقد أقسم أبوه .  
 ويخرج قيس فى حر الشمس .. ويحيث أبوه ويظلم بردائه ويصلى هو  
 بالحر حتى يفىء الظل فينصرف عنه .. ثم يدخل قيس إلى لبنى فيعانقها  
 وتعانقه ويتباكيان ويتعاهدان على الوفاء وتقول له :  
 — يا قيس .. لا تطع أباك .. فتهلك وتهلكنى .  
 ويرد قيس : لن أطيع أحداً فيك أبدا .  
 ومكث قيس على هذه الحال سنوات - اختلف فى عددها الرواة -  
 ويجتمع القوم على قيس يلومونه ويحذرونه من غضب الله فى الوالدين ..  
 ومازالوا به حتى استسلم وطلق زوجته .. لترحل إلى قومها .  
 ويفيق قيس على ما آل إليه حاله .. لقد فعل ذلك بنفسه .. فى لحظة  
 ضعف واستسلام .. إذن لقد وقعت الواقعة .  
 لقد أفاق ييكي عاطفته وعقله ويندب حظه .. وأخذ يتذكر لبنى وأيامها  
 الحافلة الجميلة .. وكيف تحولت حياته الهائلة السعيدة إلى جزع وندم  
 وأسف على ما اقترف لسانه ويده .  
 ولم يجد أمامه سوى قصائده ييئها دموعه وحسراته :  
 وإنى لئن دمع عيني بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائن



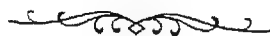
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم بين وهو بائن  
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفك إلا أن ما حان حائن

ويذهب عنه عقله .. ويشتد حنينه إلى لبني .. ويتأمل حاله .. فإذا  
بغراب يسقط قريباً منه جعل ينق وينعق .. فتطير منه .. وبكى وهو  
ينشد :

لقد نادى الغراب بين لبني فطار القلب من حذر الغراب  
وقال غداً تباعد دار لبني وتناى بعد ود .. واقتراب  
فقلت تعست ويحك من غراب وكان الدهر سعيك في تباب

ويعيش قيس على الذكرى الأليمة .. حين ارتحلت لبني إلى قومها وهو  
يقف ناظراً إليها حتى غابت عن عينيه وهو لا يفعل شيئاً .. إنه يتذكر هذا  
الموقف ويتذكر بعيرها كيف كان يحملها وأين كان يسير .. فينطلق إلى أثر  
خف البعير وينكب عليه يقبله .. ويرجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدميها ،  
ويراه قومه وهو يفعل ذلك فيلومونه ويعنفونه على تقبيل التراب .. فيقول :

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل إثر من وطىء الترابا  
لقد لاقيت من كلفى بلبنى بلاء ما أسى به الشرابا  
إذا نادى المنادى باسم لبني عيت فما أطيق له جوابا ..





٦

واشتد الهم على قيس وأصابه هزال وذهل شديدان . . وضاق  
في وجهه . . فأشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة لعله يسد  
لبنى . . فدعاه إلى ذلك فأجابه قيس :

لقد خفت ألا تقنع النفس بعدها بشيء من الدنيا وإن ك  
وأزجر عنها النفس إذ حيل دونها وتأبى إليها النفس إلا

وكانت لبنى تسمع بوجده وحسراته . . فلا يهنأ لها عيش .  
مصيرها ومصيره . . ويجتمع أصدقاء قيس حوله . . ويرقون  
ويعدون أن يخرجوا معه إلى ديار لبنى لعله يحظى برؤيتها . . فمض  
وهو ينشد :

لقد عذبتني يا حب لبنى فقع إما بموت أو  
فإن الموت أروح من حياة تدوم على التباعد و  
وقال الأقربون تعزُّ عنها فقلت لهم إذا حانت

ويصلون إلى ديار لبنى . . فتقع عينه عليها . . ويخر مغشياً  
ليعودوا به مرة أخرى أشد يأساً وحسرة .  
ويشير عليه نفر آخر أن يحج بيت الله الحرام . . لعله يسلوها .  
ورآها هناك فعاوده الحنين والجنون وأخذت دموعه تنهمر . . وعاد  
باكياً مهموماً .

ويشير بعض القوم على أبيه أن يدعه يسير في أحياء العرب لعل  
على امرأة تعجبه . . فأقسم أبوه عليه أن يفعل .  
سار قيس في أحياء العرب حتى نزل بحى من فزارة . . فوقعت



جارية حسناء قد حسرت برقعها عن وجهها .. ففتن بها وسألها :  
 — ما اسمك يا جارية .  
 قالت : اسمى لبنى .  
 فسقط غائباً عن وعيه .. فنضحت الجارية عليه الماء ودهشت .. ثم  
 قالت :

— إن لم يكن هذا قيس بن ذريح .. إنه لمجنون !  
 فأفاق قيس .. وأخبرها بنسبه ..  
 فأقسمت عليه أن يأكل من طعامها .. ثم جاء أخوها فرحب به وطلب  
 منه أن يقيم لديه .. لإعجابه بحديثه .  
 وتنتهى هذه الإقامة بزواج قيس من لبنى الفزارية .  
 وتبلغ الأخبار معشوقته لبنى .. فيصيبها غم شديد وتقول :  
 — إنه لغدار ولقد كنت أمتنع عن الزواج من أجله .. فالآن أجيب  
 قومي .

وقد كان أبو لبنى شكاً قيساً إلى معاوية وأعلمه تعرضه لها بعد الطلاق ..  
 فأهدر دمه .. إن فعل .. وأمر أباه أن يزوجه رجلاً يسمى خالد بن  
 حلزة من غطفان فزوجها أبوها .. واجتمعت نساء الحى ليلة زفافها  
 ينشدن :

لبنى زوجها أصبح لا حُرُّ بواديهِ  
 له فضل على الناس بما باتت تناجيه  
 وقيس ميت حى .. صريع فى بواكيه  
 فلا يبعده الله .. وبعدا لنواعيه

ويدرى قيس بزواج لبنى .. صحيح إنه البادئ بالزواج .. لكنه  
 لا يطيق أن تكون لبنى لغيره .. ولهذا ركب من فوره ضارباً بقرار معاوية



عرض الحائط .. حتى أتى ديارها .. فخرجت إليه النساء وواجهنه :  
 — ماذا تريد يا قيس .. لقد رحلت لبني مع زوجها .  
 وواجهه الفتیان بشيء من هذا وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها  
 فنزل عن راحلته وجعل يتمرغ في موضعها ويمسح بخذه تراها وهويكي :

إلى الله أشكو فقد لبني كما شكا إلى الله فقد الوالدين يتيم  
 يتيم جفاه الأقربون فجسمه نحيل وعهد الوالدين قديم  
 بكت دارهم من نأيمم فتهللت دموعي فأى الجازعين ألوم  
 أمستعبداً يبكى من الشوق والهوى أم آخر يبكى شجوه وسيم

#### ٧

أما زوج لبني فقد غضب وساءت علاقته معها .. حتى أن لبني طلبت  
 منه الطلاق وتتعقد الأمور .. ويلجأ قيس إلى يزيد بن معاوية ليتوسط له  
 لدى أبيه حتى يوقف أمره السابق بإهدار دمه .. وتنجح وساطة يزيد ويعفو  
 معاوية عن قيس وتكون النهاية التي يختلف فيها الرواة .  
 فمنهم من قال بطلاق لبني من زوجها ليعيدها قيس إلى عصمته ..  
 ولم تزل معه حتى ماتا .

ومنهم من يقول إنها ماتت قبله فخرج ومعه جماعة من أهله فوقف على  
 قبرها باكياً حتى أغمى عليه .. فحملوه إلى بيته وهو لا يعي شيئاً ..  
 ولم يزل عليلاً لا يفيق ولا يجيب حتى مات بعد ثلاثة أيام فدفن إلى جوارها .  
 ومهما كانت النهاية .. فقد جن قيس بلبني .. وسجل في شعره حالات  
 هذا الجنون .. بعد رحلة صراع طويل عاناها العاشق من أجل الوصول إلى  
 معشوقته .. التي هي في عينيه تستحق أكثر من الجنون .



جميل بن مَعمر  
وبشينة







هي البدرُ حسناً والنساء كواكبُ  
 وشتان ما بين الكواكبِ والبدرِ  
 لقد فضّلتُ حسناً على الناس مثلاً  
 على ألف شهرٍ فضّلت ليلةَ القدرِ  
 جميل

يمثل القرن الأول الهجري تحولاً خطيراً في المجتمع الإسلامي ..  
 فقد انتقل المجتمع من نظام إلى نظام .. وخرج النظام السياسي من  
 الخلافة الإسلامية إلى الملك الموروث .. ومن الحجاز إلى الشام .. ومن  
 بساطة الحياة الدينية إلى مظاهر الحياة الحضارية التي استتقت بعض ملامحها  
 من حضارة الفرس وبقايا حضارة الروم .  
 وتتناثر القبائل هنا وهناك .. وتبرز من بينها قبيلة بني عذرة من قضاة  
 التي تسكن الحجاز بوادي القرى على طريق مصر والشام - تلك القبيلة التي  
 اشتهرت بعشاقها الشعراء .. وبناتها الجميلات .  
 ولقد عاش صاحبنا جميل في القرن الأول الهجري .. في بادية وادي  
 القرى مهد الغزل والعشق .  
 أما جميل فهو ابن عبد الله بن معمر بن الحارث .. وهو شاعر فصيح  
 مقدّم .. جامع للشعر والرواية .. كان راوية هُدبة بن خشم .. وكان  
 هُدبة شاعراً راوية للحطيئة وكان الحطيئة ، شاعراً راوية لزهير وابنه ..  
 وكان جميل يكنى أبا عمرو .

وكان كثير بن عبدالرحمن ( كثير عزة ) راوية لجميل .  
 أما صاحبة جميل فهي بثينة بنت حبا بن ثعلبة بن ربيعة .. حيث تلتنقى



مع جميل في النسب .. وكانت تكنى أم عبد الملك .  
وقصة هذين العاشقين واحدة من هذه القصص المجنونة التي تنتسب إلى  
بنى عذرة .

ويجمع المؤرخون على أن الجمال والعشق في عذرة كثير .. ومن أخبارهم  
أنه قيل لأعرابي من العذريين :  
— ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنمات ( تذوب ) كما ينمات الملح في  
الماء .. أما تجلّدون ؟

قال : إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون أنتم إليها .  
وقيل لآخر : ممن أنت ؟

فقال : من قوم إذا أحبوا ماتوا !

فقلت جارية سمعته : عذري ورب الكعبة !

أما انتشار ظاهرة المآسي العذرية في هذه القبيلة فلا يمكن أن يفهم إلا  
على أساس من فهم الظواهر الاجتماعية عامة .. فهي ( عدوى اجتماعية )  
جعلت من هذا الحب بدءاً بين شباب القبيلة يلعب فيه التقليد دوراً كبيراً  
يدفع كل شاب إلى صاحبة له ليُعرف بها كما عرف غيره من شبابها  
بصاحباتهم .. ثم تتدخل الظروف الاجتماعية لتطبع هذا الحب بالطابع  
العذري المعروف .

وقد عبر عن ذلك أحد أبنائها حين ترك الحى بقوله : ثلاثون قد خامرهم  
السّل وما بهم داء إلا الحب !  
وتعتبر مأساة جميل وبثينة من أروع الأمثلة لهذا الحب .. وأدق نمودج  
عرفته البادية .

وإذا كانت مأساة قيس ولبنى - على شهرتها الواسعة - أشد هذه المآسي  
اختلاطاً واضطراباً في أخبارها .. لكثرة ما دخلها من وضع الرواة وتزييد  
القصاص .. وأوهام السّمار .. فإن قصة جميل وبثينة لم ينلها هذا  
الاختلاط .. ولا تختلف مصادرها كثيراً .. ومن ثم فهي أقرب هذه المآسي



للوامع .. حيث نجت من عبث الرواة والقصاص والسّمار .  
 واشتهر جميل بنسبته إلى بثينة .. لكن قوم جميل كانوا أعز من قوم بثينة  
 وأكثر غنى .. وكان أبوه نفسه ذا مال وفضل وقدر في أهله .  
 ويذكر المؤرخون أن جيلاً كان وسيماً قسيماً طويلاً القامة .. عريض  
 المنكبين متأنق اللبس .  
 أما بثينة فيقول العقاد :

وصفها جميل بعين المحب ووصفها غيره كما يراها كل من رآها ..  
 فخلص لنا من جملة هذه الصفات أنها كانت أدماء طوالة - كما قال عمر بن  
 أبي ربيعة - وأنها تفرع النساء طولاً - كما قال الرجل الذي حمل إليها نعي  
 جميل -

وكانت - في وصف النساء - حسناء بدوية لم يثقلها ترف الحاضرة ..  
 ولم يعرفها شظف العيش .. فهي رشيقة معتدلة الخلق .. سامقة  
 الخلق .. مستحبة الملامح لمن يراها .. مفتونا بها أو غير مفتون .

## ٢

ماذا عن هذين العاشقين .. وماذا عن مأساتها .  
 إن فصول المأساة تبدأ بحادث غابر .. تتفجر منه كل الروافد العاطفية  
 حتى نهاية المدى .  
 كان الفتى جميل في أول عهده بالعشق يهوى ( أم الجسير ) أخت بثينة  
 الكبرى .

و ذات يوم أقبل جميل بإبله حتى أوردتها وادياً يقال له ( وادي بغض )  
 فأسلم الفتى نفسه للراحة قليلاً تاركاً إبله ترعى كما تشاء .  
 وكان يقطن في طرف هذا الوادي قوم بثينة .  
 وتصادف في هذا اليوم أن خرجت الفتاة بصحبة جارة لها .. تردان  
 الماء .. فمرتاً على بعض من إبل جميل .. فنفرته .

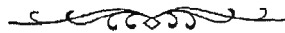


وشق ذلك على الفتى .. فقام من ضجعته إلى بثينة .. تلك الفتاة  
الصغيرة التي خالها حقاء .. فعنفها على سلوكها .. وسبها .. فردت عليه  
سبه بسب آخر .. وغالت فيه .  
وأدرك جميل كم هي رقيقة تلك الفتاة .. وكم هو مليح سبابها .. فشعر  
بسهم الحب ينفذ إلى عمق قلبه .. فأحب سبابها .. وعلق بها .  
أية عاطفة طاغية تلك التي تقيمها الإساءة والحرمان والسباب !  
وكأن قلبه كان ينفتح في شوق جارف لعاطفة تملؤه .  
وينصرف جميل عن أم الجسير إلى أختها الجميلة بثينة .. وفي ذلك  
يقول :

وأول ما قاد المودة بيننا      بوادى بغض يابثين سبابُ  
وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله      لكل كلام يابثين جوابُ  
تري أى سباب ذلك الذى عرف طريقه بلون آخر إلى قلب جميل .. إنه  
كما يعترف جميل :

ولست علي بذل الصفاء هويتها      ولكن سبني بالدلال مع البخل  
بدت بدوة لما استقلت حمولها      بيثنة بين الجرف والحاج والنخل

وتبدأ بذلك أول سطور قصة العشق بين جميل وبثينة .. ونتابع الفصول  
يوماً بعد يوم حتى ينسى المؤرخون نسب جميل .. ويذكروا فقط اسمه  
مقروناً بمعشوقته بثينة .





ويوقف جميل شعره وحياته على بشينة .  
ويجتمع إليه أصدقاؤه يثيرون شجنه وعواطفه .. ويسألونه : كيف يرى  
بشينة .. وكيف ينسب بها .. فيرد عليهم :

وإني لأرضى من بشينة بالذى لو ابصره الواشى لقرت بلابلهُ  
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آملهُ  
وبالنظرة العجلى وبالحول تنفضى أواخره .. لا نلتقى وأوائلهُ

ويسرع إلى بشينة من يخبرها بأن جميلًا قد نسب بها .  
كان من الممكن أن يحسب جميل حساب التقاليد العربية التي تحرم  
النسب .. وقول الشعر في النساء .. فهي تقضى بالتفريق بين العاشق  
ومعشوقته إذا هو تجرأ وفضحها .

وتقضى التقاليد أيضا أن ترضخ الفتاة لرأى أبيها أو عشيرتها حينما تتخذ  
قرارها في التفريق بينها وبين من ينسب بها .  
لكن ما حدث في قصة هذين العاشقين كان مختلفا .  
فحينما أخبرت بشينة أن جميلًا قد نسب بها .. حلفت بالله لا يأتيها على  
خلاء إلا خرجت إليه .. ولا تتوارى منه .

أى تحد وجنون وجسارة تلك التي اتحدت في قلب وعزيمة بشينة ..  
لقد سمحت لجميل أن يأتيها عند غفلات الرجال .. فيتحدث إليها  
ومع أخواتها .

وكان لابد أن يشيع أمر العاشقين بعد أن تناقلت الألسن شعر جميل حتى  
بلغ رجال عذرة ما كان يحدث من لقاء بينهما .  
ويثور الرجال ويغارون على بنت عشيرتهم .. ويجمعون ويرأسهم  
عبيد الله بن قُطبة .

ويترصده في مواعده بجماعة من بضعة عشر رجلاً ..



ويقبل جميل في موعده .. راكبا ناقته .. حتى وقف على باب بشينة وأم  
الجسير .. وهما يحدثانه وهو ينشدهما شعره .. والقوم عن قرب ينصتون :

حلفتُ برب الراقصات إلى منى هوى القفا يجترن بطن دفين  
لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقيا سليمى ولا أم الجسير حين  
فليت رجلاً فيك قد نذروا دمي وهما يقتل يابسين لقوى

وتثور دماء القوم المترصدين .. فيثبون عليه .. ويرميهم بناقته .. فتسبق به  
وهو يقول :

إذا جمع الاثنان جمعاً رميتهم بأركانها حتى تُحلى سبيلها

فكان هذا أول سبب المهاجة بينه وبين عبيد الله بن قطبة .  
ويدرك العاشقان أن الأسوار بدأت ترتفع .. والأشواك تتناثر في  
طريقهما .. وأحس جميل مدى الصعوبة في تلاقيهما .. فقد بدأ موعده معها  
في إخلاف متواصل .. مما ضاعف الشوق والوجد والجنون بداخله .  
ونلاحظ أن شعر جميل في معظمه بث للشكوى والمرارة .. لكثرة ما حيل  
بينه وبين بشينة حتى نجده يجاهر بأمنيته ولومرة واحدة .

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بوادى القرى .. إلى إذن لسعيد  
وهل ألقين فرداً بشينة مرة تجود لنا من ودّها .. ونجود  
وقد تلتقى الأشبات بعد تفرق وقد تدرك الحاجات وهي بعيد  
يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأى جهاد غيرهن أريد





لكن جميلاً يجب على حرمان .. ومن شأن المحب دائماً أن يسوقه جنونه  
ولإخلاصه إلى التماس العذر لمحبوبه .  
لقد وجد جميل لبشينة أعذاراً في كل مناسبة .. ومن شأن هذه الأعذار أن  
تبعد عن نفسه البغض والغضب .. وتجعله يحيا حياة الهم الجميل ..  
حياة المناجاة العميقة الحلوة الممزوجة باللوم الرقيق .

إذا قلت ما بي يا بشينة قاتلى من الحب قالت : ثابت ويزيد  
وإن قلت ردى بعض عقل أعش به مع الناس قالت : ذاك منك بعيد

لكنه لا يفقد الأمل .. بل يتوهم كل شيء حسن .. يتوهم اللقاء ..  
ويتوهم الحديث والحوار ، ويحاول ذلك جميل مرة ومرة ومرة ومرة حتى  
يلتقيا .

لقد استطاع الواشون أن يلعبوا دورهم ويحاولوا الإيقاع بين العاشق  
والمعشوق وجميل لا يدرى من ذلك شيئاً .  
ويحدث أن يلتقيا .. فتواجهه بشينة :

— ويحك يا جميل .. أتزعم أنك تهوانى .. وأنت الذى تقول :  
رمى الله فى عيني بشينة بالقذى وفى الغر من أنيابها بالقوادح  
ويخفق قلب جميل .. ويسرع فى دقاته .. فيطرق طويلاً ويكي بكاء مراراً  
ثم يقول :

ألا ليتنى أعمى أصم. تقودنى بشينة .. لا يخفى على كلامها

ومرة قال جميل لكثير .. خذ لى موعداً من بشينة .

فقال كثير: هل بينك وبينها علامة .

فقال جميل : عهدى بها وهم بواذى الدوم .. أن تجد أباه قعداً  
بالفناء .. فسلم عليه .. ثم أشده .



وينطلق كثير إلى وادي الدوم .. فسلم على أبيها وأنشده :

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي إليك رسولاً والموكل مرسل  
بأن تجعلى بينى وبينك موعداً وأن تأمرينى ما الذى فيه أفعل  
وآخر عهدي منك يوم لقيتنى بأسفل وادي الدوم والثوب يُغسل

وهنا ضربت بثينة جانب خدرها وقالت : أخساً أخساً ..

فقال أبوها مندهشاً أمرها : مَهَيْمَ يا بثينة - أى ماذا بك -

قالت : كلب يأتينا إذا نَوَمَ الناس من وراء الراية ..

ثم قالت بثينة للجارية : احضري حطباً لنشوى شاة لكثير .

فقال كثير : أنا أعجل من ذلك .

وانطلق كثير إلى جميل فأخبره بالأمر ..

فقال جميل : إن الموعد الدُّومات .. وسأراها إذا نام الناس خلف

الراية .

٤

لم يكن أمام جميل إلا أن يذهب لخطبة بثينة .

لكن كيف يرضى أبوها وقد فضح ابنته .. وكان الرفض ورده خائباً ..

وزوجها من فتى منهم يقال له نبيه بن الأسود العذرى ..

ووجدها جميل فرصة للنيل من قوم بثينة .. فقومه أعزَّ منهم .

ولو أن ألفاً دون بثنة كلهم غبارى وكل حارب مزعم قتلى

لحاولتها إما نهاراً مجاهراً وإما سرى ليل ولو قطعت رجلى

فلا تقتليني يا بئين ولم أصب من الأمر ما فيه يحل لكم قتلى

وأخذ يسخر مما فعله قوم بثينة .. وهزأ بهم .. وكله عشق وجنون

بحبيته :





فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي وهوا بقتلى يا بئين .. لقوني  
إذا ما رأوني طالعاً من ثنية يقولون : من هذا وقد عرفوني  
يقولون لي : أهلاً وسهلاً ومرحباً ولو ظفروا بي خاليا قتلوني

وكان في قوم بئينة واحد يقال له جواس .. أخذ يهجو جميلًا .. ويذكر  
بسوء أختاً له .

وكان جميل قبل ذلك يحتقر جواسا ولا يأبه له .. ففضب جميل لذلك ..  
وواعد جواساً بالمراجنة .

ووصف أحد آل العباس بن سهل يوم المراجنة فقال :  
قدمت من عند عبد الملك بن مروان وقد أجازني وكساني بُرداً - وكان ذلك  
البرد أفضل جائزتي - فنزلت وادى القرى .. فوافقت الجمعة بها  
فاستخرجت بردى الذى منى عند عبد الملك وقلت أصلى مع الناس ..  
فلقينى جميل - وكان صديقاً لى - فسلم بعضنا على بعض وتساءلنا ثم  
افترقنا .. فلما أمسيت إذا هو أتانى فى رجلي فقال : البرد الذى رأيته عليك  
تُعيرُنيهِ حتى أتجمل به فإن بينى وبين جواس مراجنة .. وتحضر فتسمع ..  
قلت : لا .. بل هولك كسوة .. وكسوته إياه .. وقلت لأصحابي :  
ما من شيء أحب إلى من أن أسمع مراجزتها .

فلما أصبحنا جعل الأعراب يأتون متتابعين حتى اجتمع منهم بشر  
كثير .. وحضرت وأصحابي فإذا بجميل قد جاء وعليه حلطان ما رأيت  
مثلهما على أحد قط .. وإذا بردى الذى كسوته إياه قد جعله لباساً  
لجملة .. فتراجز جميل وجواس - وكانت بئينة تكنى أم عبد الملك - فقال :

يا أم عبد الملك اصرمينى  
فبينى صرمى أوصلينى  
أبكى وما يدريك ما يبكينى



أبكي حذار أن تفارقيني  
وتجعلى أبعد منى دونى  
إن بنى عمك أو عسودنى  
أن يقطعوا رأسى إذا لقونى  
ويقتلونى ثم لا يودنى  
قد جربونى ثم جربونى  
فإننى رام لمن يرمىنى  
أنا جميل فتعرفونى  
وما تقنعت فتكرونى

ولم يحل زواج بشينة دون إصرار جميل على لقاءها .. وظلت العلاقة بينهما  
كما كانت من قبل .. يزورها سرّاً فى غفلة زوجها .. أو يلتقيان خارج  
البيت فى الخلاء .. وما بينهما سوى الطهر والعفاف .  
وشكا أهلها إلى أهله .. وحدته هو فى أمرها كثيرون فكان يجيب بأنه  
لا يستطيع أن يسلوها أو يبتعد عنها .. وشكا القوم إلى السلطان فأهدر  
دمه .

وسار بعض القوم إلى أبيه يشكون جيلاً .. وناشدوه الله والرحم وسألوه  
كف ولده ومنعه عما يتعرض له ويفضحهم فى فتاتهم .. فوعدهم بذلك  
وانصرفوا .

ويجلس الأب حائراً .. كيف يستطيع أن يمنع ولده عما يحبه ..  
ويعشقه .. وإذا استطاع وفعل .. فلا خير فى بقية حياة ولده .. ولابد أن  
الهلاك سوف يلحقه .

ثم كيف له أن يرضى قوم بشينة ولا يتسبب فى قطع ما بينهما من صلوات  
طيبة .

ويستدعى الأب ولده .. ويواجهه بالأمر قائلاً :



— يا بنى .. حتى متى وأنت ممعن فى ضلالك .. ألا تأنف من أن تتعلق  
 بامرأة يخلو بها زوجها وينكحها .. وأنت عنها بمعزل .. ثم تقوم من تحته  
 إليك فتغريك بخداعها .. وتوهمك بالصفاء والمودة .. وهى مضمرة لبعْلِها  
 ما تضمّره الحرة لمن ملكها .. فيكون قولها لك تعليلاً وغروراً .. فإذا  
 انصرفت عنها عادت إلى بعْلِها على حالتها المبذولة .. إن هذا لذلّ وضيم  
 يا ولدى .. وما أعرف أخيب سمهاً ولا أضيع عمراً منك .  
 أناشدك الله إلا كففت وتأمّلت أمرك .. فإنك تعلم أن ما قلته الحق ..  
 ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها .. ولكن هذا أمر قد فات ..  
 واستبد به من قدّر له وفى النساء عَوْض .. هن كثيرات .  
 فقال جميل : الرأى ما أريت يا أبى .. والقول كما قلت .. فهل رأيت  
 قبلى أحداً استطاع أن يدفع قلبه هواه .. أو ملك أن يسلى نفسه .. أو  
 استطاع أن يدفع ما قضى عليه .. والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبى  
 أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت .. ولكن لا سبيل إلى ذلك .. وإنما هو  
 بلاء بليت به لحين قد أتيج لى .. وأنا أمتنع من الذهاب إلى هذا الحى ..  
 والإلام بهم ولو مت كمدا .. وهذا جهدى ومبلغ ما أقدر عليه ..  
 وقام جميل وهو يبكى .. فبكى أبوه لبكائه جزعاً لما رآه منه ..  
 ويحاول جميل أن يسلوها :

فياقلب دع ذكرى بشينة إنها وإن كنت تهواها تضحن وتبخل  
 وقد أياست من نيلها وتجهمت وللأس إن لم يقدر النيل أمثل  
 وكيف ترجى وصلها بعد بعدها وقد جُدّ جبل الوصل مما تؤمل

وعزم جميل على الخروج إلى الشام .. لكنه هجم فى الطريق على بشينة  
 وقد وجد غفلة من القوم .. فقالت له :  
 — أهلكنى والله وأهلكت نفسك .. ويحك .. أما تخاف ؟!  
 قال لها : هذا وجهى إلى الشام إنما جئتكم مودعا ..



فحادثها طويلاً ثم ودعها وقال : يا بثينة .. ما أرانا نلتقى بعد هذا ..  
وبكيا طويلاً .

ويعود مرة أخرى .. ويشعر أن والى بنى أمية لا يزال يهدر دمه فيفر إلى  
اليمن .. حيث أخواله .. ويظل مقبها عندهم حتى عُزل الوالى فعاد إلى  
قومه ليجد قوم بثينة قد رحلوا إلى الشام .

٥

ويظل العاشق المجنون يطارد محببته هنا وهناك .. وهى مطاردة لا تنم  
عن عقل ولا تفكير .. وإنما هى إحدى نوبات الجنون حين تتملك عاشقاً  
فقد توازنه .

إنها مطاردة بلا أمل .. فقد فرقت بينها الحياة .  
وتضيق به الدنيا .. وكان يصعد بالليل على ربوة عالية .. يتنسم الريح  
القادمة من نحو بثينة ويقول :

ألا ربح الشمال أما ترينى أهيى وأنى بى ادى النحول  
هوى لى نسمة من ربح بشن ومنى بالهوب إلى جميل  
وقولى يا بثينة حسب نفسى قليلك أو أقل من القليل

ويجلس جميل هادئاً متأملاً يذكر تلك الأيام التى كانا يلتقيان فيها  
خلسة .. وفجأة يتنسم بينه وبين نفسه .  
لماذا تبسم أيها العاشق المكدود .

لقد تذكر حينما ائتمن رهط بثينة عليها عجوزاً منهم يثقون بها .. يقال  
لها أم منظور .. فجاءها جميل وقال لها : يا أم منظور .. أرى بثينة ..  
فقالت : لا .. والله لا أفعل .. قد ائتمنوني عليها .  
فقال : أما والله لأضرنك .

فقالت : المضرة والله فى أن أريكها .. فخرج من عندها وهو يقول :



ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت بالحجر يوم جلتها أم منظور  
ولا انسلابتها خرساً جباثرها إلى من ساقط الأوراق مستور

فبلغ هذان البيتان قوم بشينة .. فأقبلوا على أم منظور فحلفت لهم بكل  
يمين فلم يصدقوها .

لم يعد أمام جميل إلا التعزى بالذكرى القديمة .. وقرر أن يترك كل شيء  
ويشد رحاله إلى مصر لعلها تكون نهاية المطاف .  
وظل قلبه يبكي بأشعاره :

ألا ليت أيام الصفاء جديد ودهراً تولى يا بشين يعود  
فغنغنى كما كنا نكون وأنتم صديق وإذا ماتبذلين زهيد  
وقد تلتقى الأهواء من بعد يأسه وقد تطلب الحاجات وهى بعيد

لكن القدر لم يحقق لجميل ما تمنى .. فلم تلتق الأهواء بعد يأس ..  
ولم تدرك الحاجات على البعد .

لم تطل أيام جميل بمصر .. فقد أخذ النور يخبو .. وأحس أن الستار  
الأخير سوف يسدل عليه .. ماذا يفعل .  
لقد دعا رجلاً صديقاً له وقال :

— هل لك فى أن أعطيك كل ما أملكه على أن تفعل شيئاً لى ..

قال له الرجل : لك ما تشاء يا جميل .

قال جميل : إذا مت خذ حلتى هذه فى حقيقتى فاعزها جانباً ثم كل شيء  
سواها لك .. وارحل إلى قوم بنى الأحب من عذرة - وهو قوم بشينة - فإذا  
صرت إليهم فاركب ناقتي ثم ألبس حلتى هذه واشققها ثم اصعد مرتفعاً من  
الأرض .. وصح بهذه الأبيات :

بكر النعمى - وما كنى - بجميل وثوى بمصر ثواء غير فقول



بكر النعى بفارس ذى همة      بطل إذا حمل اللواء مدليل  
ولقد أجر الذيل فى وادى القرى      نشوان بين مزارع ونخيل  
قومى بثينة فاندبى بعويل      وابكى خليلك دون كل خليل

فلما قضى جميل .. أتى الرجل قوم بثينة وفعل ما أوصاه به جميل .. فلما  
أتم الأبيات .. برزت إليه امرأة - وهي بثينة - يتبعها نسوة قد بزتن طولاً  
وبرزت أمامهن كأنها بدر قد برز فى دجنة .. وهى تتعثر فى كسائها حتى أتت  
الرجل .. فقال :

— يا هذا .. لئن كنت صادقاً لقد قتلتنى .. ولئن كنت كاذباً لقد  
فضحتنى !

قال : والله ما أنا إلا صادق ..

وأخرج الرجل حلة جميل فلما رأتها بثينة صاحت بأعلى صوتها وصكت  
وجهها .. واجتمع نساء الحى يبكين معها ويندبنه حتى صعقت .. فمكثت  
مغشياً عليها ساعة .. ثم قامت وهى تقول :

وإن سلوى عن جميل لَسَاعَةٌ      من الدهر ما حانت ولا حان حينها  
سواء علينا يا جميل بن معمر      إذا مت بأساء الحياة .. ولينها

فلم ير يوم كان أكثر بكاء منه .

وهكذا تغلق الصفحة الأخيرة فى هذه المأساة .. عاشقان كتب عليها  
قدرهما أن يعيشا على وجد ومرارة وشوق جارف .. ويموت العاشق بعيداً  
عن وطنه .. وتحبى المعشوقة فى كمد وحزن ووحشة .. تجتر ذكرياتها  
القديمة حتى طوقتها رمال عذرة بعد موت حبيبها بقليل .. ليلتقى فى جنة  
العاشقين المجانين التى لا تعرف الفراق مهما بعدت بينهما المسافة .



كثير بن عبد الرحمن  
مجنون .. عزة







خليلى هذا ربع عزة فاعقلا  
 قُلُوصِيكُمَا ثم ابكيا حيث حَلَّتْ  
 وما كنت أدري قبل عزة ما البكا  
 ولا موجعات القلب حتى تولت  
 كثير

١

عجيب أمر هذا الشاعر العاشق .. كثير بن عبدالرحمن بن أبي جمعة  
 الخزاعى .. فهو يختلف عن أصدقائه الشعراء العشاق .. بولائه السياسى  
 المتعصب للشيعة .

وكان كثير ومعه الكميت يتقدمان شعراء الشيعة .. فكثير كان يلتزم  
 عقيدة الكيسانية بكل ما تميزت به من تطرف وإيغال فى العقيدة الشيعية ..  
 أما الكميت فكان ينحاز إلى عقيدة الزيدية بكل أصولها المذهبية .  
 ولقد لعب كثير دوراً خطيراً فى جانب العقيدة الشيعية .. حتى إن كثيراً  
 من مؤرخى الأدب اتهمه بأنه كان يعانى أحد الأمراض العصبية الناتجة عن  
 انعدام التكامل فى شخصيته فلجأ إلى التعصب والاختلاف حتى يرقى إلى  
 مستوى الشهرة .. ويسد بعضاً من نواحي النقص الشخصية التى منى بها  
 منذ صغره .

فقد وصفه معاصروه بأنه كان دميماً قصيراً ، حتى لقد ذكر بعض الرواة  
 أنه رآه يطوف بالكعبة وأنه لا يزيد على ثلاثة أشبار .. ومن ثم كان يلقي  
 سخريه الناس .



ويذكر أبو الفرج في الأغاني أنه كان إذا دخل على عبدالعزيز بن مروان قال له : طأطئ رأسك لا يصيبك السقف . . سخرية منه وتهكما بقصره .  
 وكان يواجه سخرية الناس بالتعالى والترفع . . وبقوله :  
 وإن أك قصداً في الرجال فلأننى إذا حل أمر ساحتى الطويل  
 وكان ابن أبي عبيدة يملئ شعر كثير بثلاثين ديناراً . . وسئل عمه  
 مصعب : من أشعر الناس . . قال : كثير بن أبي جمعة . . وقال : هو أشعر  
 من جرير والفرزدق والراعى وعامتهم ( يعنى الشعراء ) . . ولم يدرك أحد  
 في مديح الملوك ما أدرك كثير .  
 ويضعه ابن سلام في الشعراء الفحول . . وهو لديه شاعر أهل الحجاز .  
 وكان كثير يوغل في تشييعه حتى إنه كان يزعم أن محمد بن الحنفية  
 لم يمت . . وكان يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقوله تعالى ( فى أى صورة  
 ما شاء ركبك ) ويقول : ألا ترى أنه حوله من صورة إلى صورة .  
 ويذكر أنه كان يدخل على عمه له فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها  
 فقال لها يوماً : لا والله لا تعرفينى ولا تكرمينى حق كرامتى .  
 فقالت : بلى والله إنى أعرفك  
 فقال : فمن أنا إذن . .  
 قالت : ابن فلان وابن فلانة . . وجعلت تمدح أباه وأمه . . فقال :  
 — قد عرفت أنك لا تعرفينى  
 قالت : فمن أنت إذن  
 قال : أنا يونس بن متى . .  
 وكان يرى أن ابن الحنفية هو المهدي المنتظر وكان يتباهى بصلته به . .  
 وسؤاله عنه ويقول :

أقر الله عينى إذ دعانى أمين الله يلفظ فى السؤال



وأثنى في هواى على خيرا ويسأل عن بنى وكيف حالى  
هوالمهلى خبرناه كعب أخو الأجار فى الحقب الخوالى

ن كثير عاقاً لأبيه .. وكان أبوه قد أصابته قرحة فى إصبع من أصابع  
.. فقال له كثير : أتدرى لم أصابتك هذه القرحة .. قال : لا أدرى .  
" قال : بما ترفعها إلى الله فى يمين كاذبة .

ومرة قال عبدالملك بن مروان لكثير : من أشعر الناس اليوم  
يا أبا صخر .. قال : من يروى أمير المؤمنين شعره .. فقال عبدالملك : أما  
إنك لمنهم ...

وكان عبدالملك كثير الرواية لشعر كثير .. وقد سأله يوماً كثير : كيف  
ترى شعرى يا أمير المؤمنين .. قال : أراه يسبق السحر .. ويغلب  
الشعر .

وإمعاناً فى المغالاة والتوهم .. يروى كثير حكايته عن بداية الشعر حين  
قال :

ما قلت الشعر حتى قوُّلته ..

قيل له : وكيف ذلك

قال : بينما أنا يوماً نصف النهار .. أسير على بعير لى فى بقاع حبدان ..  
إذا راكب قد دنا منى حتى صار إلى جانبى .. فتأملت .. فإذا هو من  
النحاس وهو يجير نفسه فى الأرض جراً .. فقال لى : قل الشعر .. وألقاه  
على ..

قلت : من أنت .. قال : أنا قرينك من الجن .. فقلت الشعر !  
ويبدو أن بنى مروان كانوا يعلمون أن كثيرا أحق وأنه كان من أتبه الناس  
وأذهبهم بنفسه على كل أحد ، ولهذا .. ولأنه كان حاقدا على أعداء إمامه



وأعداء الأمويين من بنى الزبير . . فإنهم لم يعابوا بتشيع رجل أحق مادام  
ينيلهم مدحه . . وينال أعداءهم بهجائه . . وترى أنهم كانوا لا يجدون في  
تشيعه ضرراً ولا يرتابون فيه ولا يعتقدون أن له خطراً .  
على هذا التصور كانت علاقة كثير بعبد الملك علاقة المصلحة المشتركة  
التي يجدها كل منها في الآخر والتي لا تضر بإيمان كثير بعقيدته . . ولا تضر  
عبد الملك نفسه . .

وحسبنا من هذه المواقف والأخبار أن نجسك صورة كثير في مجتمع  
متناقض . . يظهر أفراده غير ما يظنون . . وتقوم العلاقات فيه على أساليب  
ومصالح لا تخضع إلى منطق صادق . . وإنما يسوقها منطق العصر  
والصراعات والصوت العالي والشهرة الزائفة .

وكاننا بكثير بن عبد الرحمن وقد لاطمته أمواج البحر العاتية في الساحة  
السياسية بحثاً عن أمر آخر يمكن أن يخلده - صادقاً - على مدى التاريخ . .  
بعيداً عن المديح والهجاء والخوض في المآهات الفكرية التي تزج به - غصباً -  
إلى أتون السياسة .

فكانت علاقته بعزة . . عاشقاً . . مثالياً . . مجنوناً .





من العجيب أيضا أن يلتصق اسم عزة باسم كثير .. وكأن العشق  
 - يامولاي - سيد المواقف .. وسيد الأوجاع أيضا ..  
 لا يكاد يذكر كثير حتى يقترن اسمه باسم عزة .  
 ولا يكاد يذكر العشاق العذريون المجانين .. حتى يذكر كثير في سياقهم  
 وفي مقدمتهم .. غافلين تشييعه .. ومدائح .. ومواقفه .  
 ولعل علماء النفس المعاصرين حين يدرسون شخصيته .. أن يتأكدوا من  
 هذا التحول الذي طغى على محاولاته الأولى لمواجهة سخرية الناس من  
 نقائصه .  
 والآن .. أكان كثير حقاً يقصد أوعى عشقه بعزة حتى يحقق لنفسه  
 مكانة مرموقة على المستوى الشعري والاجتماعي .  
 إن كثيرا من المؤرخين اهتموه بعدم الصدق في عاطفته .. ورووا عن  
 ذلك ما يؤيد ويدلل على ذلك .  
 وما يعيننا الآن أن نروى سيرة عشقه .. ثم نترك الحكم لحاستنا الصادقة  
 تحكم عليه بالصدق أو النفاق .  
 وكما تبدأ قصص العشق المجنونة بموقف ما .. كانت بداية قصة كثير  
 وعزة .  
 فقد مر كثير ذات يوم بنسوة من بنى ضمرة ومعه قطيع غنم ..  
 فاندھشت النسوة .. وأردن أن يسألن كثير شيئا .. فأرسلن إليه عزة  
 - وهي بعد صبية صغيرة - فأسرعت إليه تعبت الريح بأثوابها .. وابتدرته  
 وهي تلهث :  
 — تقول لك النسوة بعنا كبشا من هذه الغنم .. وسوف نؤدى لك ثمنه  
 حينها ترجع مرة أخرى .  
 فأعجب كثير برقة عزة .. وأعطاهما الكبش .. ووقعت هي من قلبه



موقعاً عظيماً .

فلما ذهب .. وعاد مرة أخرى .. جاءت واحدة من النسوة بثمر الكباش فقال لها :

— أين الصبية التي أخذت مني الكباش .

قالت : وما تصنع بها .. هذه دراهمك ثمنا لكباشك !

فقال : لا آخذ دراهمي إلا ممن أخذت مني كبشى .

وانصرف عن المرأة وهو يقول :

قضى كل ذى دين فوفى غريمها وعزة ممطرول معنى غريمها

وهنا اجتمعت النسوة وقلن له : أبيت إلا عزة ؟

قال : نعم .

فأبرزنها له وهي كارهة .

ثم أحبته عزة بعد ذلك أشد من حبه إياها .

أما عزة فهي بنت حميل بن وقاص بن حبيب بن غفار - والعزة - لغويا - هي بنت الظبية - وكنيتها أم عمرو .. وكان يطلق عليها أيضا الحاجبية نسبة إلى جدها الأعلى .

تلك كانت الورقة الأولى في قصة كثير العاشق .. فهل كانت عزة تستحق هذا العشق .. وهل كان كثير في عين عزة هذا المعشوق المتفرد . ويحلو للقدماء أن يقارنوا بين كثير وجميل في عشقهما .. فبعض منهم يقول : إن جميلاً كان أصدق وأخلص وأجن .. وأن كثيراً كان يتقول ولم يكن عاشقاً بل شغلته حياته ومواقفه عن ذلك .

وهذه حكاية تروىها قسيمة الأسلمية وكنيتها أم البنين .. قالت :

أقبلت علينا عزة في جماعة من قومها .. واجتمعت في لقائها جماعة من



نساء الحاضر أنا فيهن .

فجئناها .. فرأيناها امرأة حلوة بيضاء نظيفة .. فتضاء لنا لها .  
وكانت تصحبها نسوة كلهن لها عليهن فضل من الجمال والخلق .. إلى  
أن تحدثت عزة ساعة فإذا هي أبرع الناس وأحلام حديثا .. فما فارقتها  
إلا ولها علينا الفضل في أعيننا .. وما نرى في الدنيا امرأة تفوقها جمالا ..  
وحسنا .. وحلاوة .

وهذه شهادة تحب من امرأة .. وليست من رجل .. وحينما تصف امرأة  
امرأة أخرى بهذا الوصف .. فهي صادقة .. ليس فيها مصانعة أو تزيف أو  
مبالغة .

وقد مر بنا ما كان عليه كثير من القبح والقصر والدمامة .. ولولا أنه كان  
شاعراً أو عاشقاً .. مذكره التاريخ .. وما أفسح له في ذاكرته .

### ٣

وكما تحدث في قصص العشق .. يشب كثير بعزة .. ويذيع ذلك بين  
العرب ويحال بينه وبينها .. ويتزوجها رجل آخر .  
لكن كثير كان يتبعها كظلها .. ولم يتوقف عن قول الشعر فيها رغم  
زواجها ورحيلها الدائم مع زوجها .

ويوما أدخلت عزة على عاتكة بنت يزيد فقالت لها : أرايت قول كثير :  
قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

ما هذا الذي ذكره يا عزة .

قالت : قبله وعده إياها .

قالت : أنجزها وعلى إثمها .



ويهدد قوم عزة كثيراً . . ويقبل عليه بعض من أصدقائه لعله يشوب إلى  
رشدته تاركا حب عزة فلا يزيد على قوله :

يزهدني في حب عزة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي  
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب  
وما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

ولأن العاشق دائماً بهمه أن يكون لمعشوقته ملاذاً وحماية وخلصاً لها في أي  
مأزق فقد حاول كثير أن يفعل ذلك مراراً رغبة منه في جذب عاطفة عزة إليه  
أكثر .

وقد كان لكثير غلام تاجر . . وحدث أنه باع عزة بعض سلعه . . لكنها  
ماطلته في سداد ما عليها . . وهو لا يعرف ما بينها وبين سيده كثير .  
فقال الغلام يوماً لها : لأنت والله كما قال سيدي :  
قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها  
فانصرفت عزة عن الغلام في خجل شديد .  
وهنا قالت امرأة للغلام : ألا تعرف يا أحمق من تكون عزة . .  
قال : لا والله .

ثم صحا الغلام من غفلته وقال :  
— من أجل مولاي لا آخذ منها شيئاً ولا اقتضيها .  
ورجع إلى كثير يخبره بالخبر . . فماذا فعل معه كثير . . وماذا يفعل من  
أجل عزة . . لقد اعتق الغلام ووهب له مالاً كثيراً .  
ولم يكن يذوق النوم حتى يعرف شيئاً عن عزة . . أو يتناقل خبراً عنها . .  
ولا يهمه في ذلك أنها امرأة متزوجة .  
ومرة عرف كثير أن عزة قد نزلت في جماعة من قومها في ناحية . . وكان  
له في هذه الناحية صديق قديم . . فأقبل كثير على صديقه وقال له :





— أريد أن أكون عندك اليوم .. لأكون قريبا من عزة .  
 واستجاب صديقه .. وأقام في منزله حتى كان العشاء .. ثم أرسل  
 صديقه إلى عزة وأعطاه خاتمه وقال :  
 — إذا سلمت .. فستخرج إليك جارية .. فادفع إليها بخاتمي هذا  
 وأعلمها مكانى .  
 وينطلق الصديق إلى مكان عزة ويسلم .. وتخرج إليه الجارية ويدفع  
 إليها خاتم كثير .  
 فقالت : أين الموعد .  
 قال : صخرات أبي عبيد .. الليلة .  
 فواعدته هناك .. ورجع الصديق وأخبر كثيرا بالموعد .  
 فلما أمسى قال كثير لصديقه :  
 — انفض بنا .  
 فنهضا وجلسا هناك عند الصخرات يتحدثان حتى أقبلت عزة ..  
 وتحدثت مع كثير .. وأراد الصديق أن يقوم ليخلو لهما جو العاطفة .. لكن  
 كثيرا قال له :  
 — إلى أين يا صديقى تذهب .  
 قال : أخليكما ساعة لعلكما تتحدثان ببعض ما تكتمان  
 قال كثير : بل اجلس .. فوالله ما كان بيننا شيء قط ..  
 فجلس الصديق وهما يتحدثان حتى السحر .. ثم قامت عزة  
 وانصرفا ..  
 ذلك ما يؤكد عذرية العاطفة بين كثير وعزة .. ذلك الحب الذى يملك  
 على العاشق قلبه ووجدانه وعقله وشعره جميعا دون أن يدنسه بشيء آخر .  
 ويحاول الكثيرون حول كثير أن يشوه عن حب عزة .. ومنهم عائشة بنت  
 طلحة التميمية حين أرادت أن تختبر عشق كثير .. فقالت له :  
 — يا ابن أبي جمعة .. ما الذى يدعوك إلى ما تقول من الشعر فى



عزة .. وليست على ما تصف من الحسن والجمال .. لو شئت صرفت ذلك إلى غيرها ممن هن أولى بها منها - أنا أو مثلى - فأننا أشرف وأوصل من عزة .  
فقال :

إذا ما أرادت خُلة أن نزيلنا أبينا وقلنا : الحاجة أولُ سنوليك عرفا إن أردت وصالنا ونحن لتلك الحاجة أوصل لها مهل لا استطاع درأكه وسابقة في الحب ما تتحول

فقالت عائشة : والله لقد سميتني لك خلة .. وما أنا لك خلة .. وعرضت على واصلك وما أريد ذلك وإن أردت .. ألا قل كما قال جميل :  
ويقلن إنك قد رضيت بباطل منها فهل لك في اعتزال الباطل



وتشيع أخبار كثير وعزة بين العرب .. وكان عبدالملك بن مروان معجبا بكثير وشعره وأخباره ..  
وليلة كان عبدالملك يتسلى في مجلسه .. وكثير حاضر .. فسأله عن أعجب خبر له مع عزة .. فقال كثير :

حججت سنة من السنين .. وحج زوج عزة بها .. ولم يعلم أحد منا بصاحبه .. فلما كنا في بعض الطريق أمرها زوجها بشراء سمن تصلح به طعاماً لأهل رفقته .. فخرجت عزة تدور بالخيام خيمة خيمة لعلها تجد السمن .. حتى دخلت خيمتي .. وهى لا تعلم أنها خيمتي .. وكنت أبرى سهماً .. فلما رأيتها جعلت أبرى لحمى وأنظر إليها حتى برئت ذراعى .. وأنا لا أعلم به والدم يجري .. فلما تبينت عزة ذلك .. أقبلت على وأمسكت يدي .. وجعلت تمسح الدم بثوبها .. وكان لدى وعاء



سمن .. فحلفت أن تأخذه .. فأخذه .  
وتعود عزة إلى زوجها بالسمن والدم فوق ثوبها .. فسألها عن الخبر  
فأنكرت وكتمت الحقيقة .. حتى حلف عليها .. فأخبرته .. فأخذ  
يضر بها .. وأقسم أن تشتمني في وجهي .  
فأتتني مع زوجها .. وأخذت تسبني وهي تبكي .. فأنشدت ساعتها :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا      قلو صيكما ثم ابكيا حيث حلت ..  
تمنيتها حتى إذا ما رأيتهما      رأيت المنايا شرعا قد أظلت  
كأنى أنادى صخرة حين أعرضت      من الصم لوتمشي بها العصم زلت  
يكلفها الخنزير شتمي وما بها      هوان .. ولكن للمليك استذلت  
هنيئا مريثا - غير داء مخامر -      لعزة من أعراضنا ما استحل

وهي قصيدة طويلة من عيون الشعر العربي يودعها حرقته وجنونه وعشقه  
الملتهب .

وتسوء حال كثير .. فهو لا يستطيع أن يرى عزة حين يشاق إليها ..  
وقد ضيق عليها زوجها .. وهددها إذا هي حاولت أن ترى كثير .  
ويعتزم الرحيل إلى مصر مع صديق له يقال له سائب .. فمر الصديقان  
على ماء قريب من خباء عزة .. فسلما .. فقالت عزة : وعليك السلام  
يا سائب .

ثم أقبلت عزة على كثير فقالت :  
— ويحك .. ألا تتقى الله .. أرايت قولك :

بآية ما أتيتك أم عمرو      ففقت لحاجتي والبيت خالي

أخلفت معك في بيت واحد أو في غير بيت قط .  
قال كثير : لم أقله ولكنني قلت :



فأقسم لو أتيت البحر يوماً لأشرب ماسقتني من بلال  
وأقسم أن حبك أم عمرو لداء عند منقطع السعال

قالت عزة : أما هذا فنعم .

ويسافر كثير إلى مصر .. ثم يعود مرة أخرى .. ويلتقي بعزة ويقول  
لها : السلام عليك يا عزة .. فترد : وعليك السلام يا جمل ..  
فينشد كثير :

حيثك عزة بعد الهجر فأنصرفت فحى ويحك من حياك يا جمل  
لو كنت حيثها مازلت ذا مقة عندى وما مسك الإدلاج والعمل  
ليت التحية كانت لى فأشكرها مكان يا جمل حيث يا جمل

وتسوء حال كثير ويصيبه الضجر والنحول ومرض مرضاً شديداً فبكى  
بعض أهله . : فقال كثير :

— لا تبك .. فكأنك بى بعد أربعين ليلة تسمع صوت نعل من تلك  
الشعبة راجعاً إليكم .

لكن القدر لم يمهله .. فمات فى سنة ١٠٥ هـ ومات فى نفس اليوم  
عكرمة بن عباس .. فاجتمعت قريش فى جنازة كثير .. ولم يوجد لعكرمة  
من يحمله .

وقال الناس : مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس ..  
وغلب النساء على جنازة كثير يبيكنه ويذكرن عزة فى ندبتهن له .





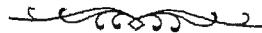
٥

هذه هي قصة كثير وعزة .. فماذا يمكن أن نقول عنها .  
لقد قصدنا هنا أن نسوق الأخبار كما ترونها المصادر الموثوقة .. ونحينا جانباً ما جاء من الأخبار نتيجة الأحقاد .. أو الغضب أو التحزب حتى لا تشوه صورة العاشق المجنون .. وهي أخبار نحسبها مدسوسة عليه وعلى عزة .. فمن ذا الذى يصدق كذب العاشق وهو يحرق نفسه فى أتون الشعر .. ويبرى ذراعه فى لقاء محبوبته .. ويفاخر بعشقه غير عابىء بالمصير .

وحتى لو طبقنا على سلوك كثير .. ما يقول به علماء النفس .. فمن الصعب أن نصدق أن عقدة ما يمكن أن تلازم الإنسان طوال عمره .. ولا بد أنه فى غمار الحياة .. يمكنه أن يحيل هذه العقدة أو هذه النقيصة إلى إضافة كبيرة فى شخصيته .

أما كان الأيسر على كثير - أمام دمايته وقصره - أن يستسلم إلى هذه النقيصة .. وأحسب أنه قد وفق إلى أن تنسى الناس ذلك عنه حينما برز فى الشعر والسياسة والعشق جميعاً ..

وكثير قد أنساه عشقه تماماً ما كان يحس به من نقص .. ويكفيه وله عزة به .. واجتماع النساء على نعشه يوم جنازته .. ورواية ابن مروان لأشعاره .. وأخباره .. ألا يكتب ذلك كله له خلوداً وعشقا وجنونا .  
إننا ننحاز إلى وضع كثير فى قائمة العشاق الأصلاء .. والشعراء الفحول الذين تركوا لنا تراثاً عظيماً لا يموت أبداً .







العباس بن الأحنف  
مجنون فوز







يا غريب الدار عن وطنه  
مفرداً يبكى على شجنه  
كلما جدّ البكاء به ..  
دبت الأسقام في بدنه

العباس

ربما غلب الحب العذرى على شعراء العصر الأموى .. بل مثل هذا  
الاتجاه لوناً خاصاً يضاف إلى تلك الساحة التي كانت تموج بالصراع  
السياسى العنيف .

ثم حينما نتصفح أوراق العصر العباسى .. فنحن أمام شعراء الغزل  
الذين تغلب عليهم صفة المجون من أمثال أبى نواس .. وحماد عجرد ..  
ومسلم بن الوليد وغيرهم .. حتى أننا لو أمعنا النظر قليلاً لأدركنا ندرة  
الألوان العاطفية الصادقة التى يمكن أن تكون امتداداً لغزليات العصر  
الأموى .

ومن هؤلاء الشعراء النادرين الذين صدقوا فى عواطفهم وأشعارهم ..  
وتمثلوا تلك الألوان التى تقترب من عذرية الأمويين .. العباس بن  
الأحنف .. وعلى بن الجهم .. وابن الرومى .. وأبو العتاهية .  
لكن العباس بن الأحنف يجيء فى مقدمة هؤلاء حيث يمثل بطلاً لقصة  
تمثل قصص المجانين مع حبيبته فوز .

وشاعرنا العباس بن الأحنف من بنى حنيفة .. نشأ فى نعمة وثراء جعلاه  
ينصرف عن شعر المديح الذى كان يجذب إليه عامة الشعراء طلباً للنوال  
والعطاء .

وكان يتعاطى الفتوة على ستر وعفة وله مع ذلك كرم ومحاسن أخلاق



وفضل من نفسه .. وكان جوادا لا يحبس ما يملك .  
ويقول صاحب الأغاني : كان العباس شاعراً غزلاً ظريفاً مطبوعاً .  
ويشبهه البعض في عصره بعمر بن أبي ربيعة في عصره .. وكان شعره  
كله في الغزل والوصف .

ويقدمه جماعة من رواة الشعر بقولهم : كان العباس من الظرفاء ولم يكن  
من الخلفاء .. وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً .. وكان ظاهر النعمة ملوكي  
المذهب شديد الترف .. وكان قصده الغزل وشغله النسيب .. ولم يكن  
هجاء ولا مداحاً .

وقد فتح اشتهاره بالغزل باب قصر الرشيد حتى أصبح من ندمائه  
يصطحبه في غزواته .

ومن أجل ما يروون عنه أنه خرج مع الرشيد ذات مرة إلى خراسان ..  
وكان الرشيد قد وعده أنه لن يغيب عن أهله في بغداد .. لكن الغياب  
طال .. فاشتد به الشوق إلى أهله .. واحتال هو بأبيات تصل إلى سمع  
الرشيد لعله يسمح له بالعودة .

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا	ثم القُفول .. فقد جئنا خراسانا
متى يكون الذي أرجو وآمله	أما الذي كنت أخشاه فقد كانا
ما أقدر الله أن يدنى على شَحْطٍ	سكان دجلة من سكان جيحانا
يأليت من نتمنى عند خلوتنا	إذا خلا خلوة يوماً ثماننا

وتصل الأبيات إلى سمع الرشيد .. فيتأثر بها ويأذن للعباس بالعودة إلى  
بغداد .

ولندخل إلى عالم العشق لدى العباس .  
وتبدأ القصة حينما توثقت صلة الشاعر بمحمد بن منصور بن زياد الملقب  
بفتى العسكر .



موفى إحدى لقاءاته به .. رأى عنده جارية جميلة تسمى فوز .. فوقعت  
فى قلبه .. وأخذ يكثر من زياراته .. حتى عرف أمره .  
لكن فوزاً كانت تصده .. وهو يزداد لها حبا وهياما ..  
ويحس حراماً قاتلاً .. وقلقاً مشرداً فأخذ يثبها قلقة وآساة :

قد كنت أرجو وصلكم فظللْتُ منقطع الرجاء  
أنت التى وكلت عيني .. بالسهاد وبالبكاء  
إن الهوى لو كان ينفذ فيه حكى أو قضائى  
لطلبته وجمعه من كل أرض .. أو ساء  
فقسمته بينى وبين حبيب نفسى بالسواء  
فنعيش ماعشنا على محض المودة والصفاء  
حتى إذا متنا جميعاً والأمور إلى ناء  
مات الهوى من بعدنا أو عاش فى أهل الوفاء

وتبدأ فوز لتكون وحيدة هواه .. لا قلبها ولا بعدها حبيبة .. ويتمادى  
فى عشقه لها .. وهى تتمادى فى صده وهجره .. ويبكى العباس :

أما والذى أبلى المحب وزادنى بلاءً لقد أسرفت فى الظلم والهجر  
فإن كان حقاً مازعمت أتيتك إليك فقام النائحات على قبرى  
وإن كان عدواناً على وباطلاً فلا مت حتى تسهرى الليل من ذكرى

وتصل فوز هذه الأبيات فيرق قلبها وتبعث إليه :  
— أظننا قد ظلمناك يا أبا الفضل .. فاستجيت دعوتك فينا .. مازلت  
البارحة ساهرة ذاكرة لك .  
ويعلم أخو فوز بعشق العباس .. ويشور من داخله على هذه العاطفة ..  
فيرسل إليه يتهدده .. ويقسم ليواجهه .



ولا يثنى العباس هذا التهديد .. بل عزم على أن يكون شهيد حبه الذي  
أرداه :

أيام يرصدني أخوك بسيفه      والسيف يميني وتمنعه يدي  
وأرى الكواكب يغمتمن رسائلي      لولاك كان لبعضهن توددي  
إني لأصبح في جهاد منكمو      كموحد أرداه دين الملحد  
فلئن هلكت لتصبحن أثيمة      ولأرزقن شهادة المتشهد

وكان دائم التراسل مع فوز .. يبعث إليها بما يريد من رسائل أو برغبة  
في اللقاء .

يا فوز هل لك أن تعودى للذي      كنا عليه منذ نحن صغار  
فلقد خصصتك بالهوى وصرفته      عمن يخلت عنهم فيغار  
هل تذكرين بدار بكرة لونها      ولنا بذاك مخافة وحادار

ولتوقف لنمعن النظر قليلاً .. ألا يذكرنا هذا بقيس بن الملوح وصاحبته  
ليلي وتستمر القصة .. وتمعن في التعقيد ..  
لقد انتقلت فوز من ملك محمد بن منصور إلى ملك بعض أمراء بني  
العباس وحج بها الأمير .. وبعدت فوز عن نظر العباس .. فمضى يبيكها  
مصوراً شوقه وهيامه الحارق :

أزين نساء العالمين أجيبى      دعاء مشوق بالعراق غريب  
كتبت كتابي ما أقيم حروفه      لشدة إعوالي وطول نحبي  
أخط وأحور ما أخط بعبرة      تسح على القرطاس سح ذنوب  
أيا فوز لو أبصرتني ماعرفتني      لطول نحولي بعدكم .. وشحوي  
وأنت من الدنيا نصيبي فإن أمت      فليتك من حور الجنان نصيبي



أرى البين يشكوه المحبون كلهم      فيارب قرب دار كل حبيب

وتعود فوز من رحلة الحج .. ليعود إليه عذابه بها .. ويظل يذكرها  
ويهتف باسمها وجه لها :

أميرق لا تغفري ذنبي      فإن ذنبي شدة الحب  
حدثت قلبي دائما عنكمو      حتى قد استحييت من قلبي

ويشعر العباس بالعصيان الذي يصدر عن فوز .. لكنه عصيان محب :

أستغفر الله إلا من مودتكم      فإنها حسناى يوم ألقاه  
فإن زعمت بأن الحب معصية      فالحب أحسن ما يعصى به الله

وقد كان لهذا العصيان وهذا الصد أثر شديد على مزاجه .. فكان عنيفاً  
في سلوكه وتعامله مع الغير .

ويروى عنه أنه ضرب غلاماً له وحلف أن يبيعه .. فمضى الغلام إلى  
فوز فاستشفع بها عليه .. فكتبت إليه فيه .. فقال :

يا من أتانا بالشفاعات      من عند من فيه لجاجات  
إن كنت مولاك فإن التي      قد شفعت فيك لمولات  
إرسالها فيك إلينا لنا      كرامة فوق الكرامات

ورضى عنه .. ووصله .. وأعتقه .

وكان يجلس إلى أصدقائه فيبدو عليه الأسى والكآبة والضجر ..  
والنحول .. وبلغ به ذلك مبلغاً عظيماً فسأله : ماذاك ؟

فقال : لقيتني فوز اليوم فقالت لي باشيخ .. وما قالت ذلك إلى من

ملل .. أو يأس .



فقالوا له : هون عليك إنها امرأة لا تثبت على حال .. وما أرادت إلا  
العبث بك والمزاح معك .  
فقال : إني والله قد قلت أقبح مما قالت .. ثم أنشد :

هزئت إذ رأت كثيلاً معنيً أقصدته الخطوبُ فهو حزينٌ  
هزئت بي ونلتُ ماشئتُ منها يالقومي فأينا المغبون

فقالوا له : لقد أنصفت نفسك والله .  
وتقترب القصة من نهايتها .

لا أمل في الفوز بفوز .. ولا أمل لديه من الحياة جميعاً .. وليكن شهيد  
العشق .. وشهيد الانتظار .. واليأس .

ويخرج إلى البيداء وقد نال منه النحول .. والضعف .. ومعه غلام  
مخلص .. فاستلقى تحت شجرة .. ورفع طرفه .. وهو لا يكاد يرفعه  
ضعفاً وسقماً .. وأنشأ يقول آخر كلماته :

يا سقيم الجسم من يحنه مفرداً يبكي على شجنه  
كلما جدَّ البكا به .. دبَّت الأسقامُ في بدنه

ثم أغمى عليه .. وأقبل طائر فوقف على الشجرة .. وجعل يغرد ..  
فسمع العباس تغريده وفتح عينيه مرة أخرى وقال :

ولقد زاد الفؤاد شجى طائرٌ يبكي على فنيه  
شفه ما شفى فبكى كلنا يبكي على سكينه

ثم تنفس تنفساً مديداً فاضت فيه روحه .. لتطوى صفحة طاهرة نقية  
من الغزل الذي يشبه الغزل العذرى .. المجنون .



ديك الجن  
وجنون الندم







نديم عيني بمدك الكوكب  
 ولوعة أناتها تلهب  
 ما امتنع الدمع .. وإسباله  
 على ما امتنع المطلب  
 إن تكن الأيام قد أذنبت  
 فيك .. فإن الدمع لا يذنب  
 ديك الجن

هذه قصة جنون مختلفة !  
 فإذا كان جنون الشعراء العذريين .. في الانقطاع كاملاً إلى هذه العاطفة  
 الرومانسية مع الحبيبة .. يعيشون بها .. ويموتون بها .. ويتحملون في  
 سبيلها معاناة تفوق طاقة البشر .  
 فإن ديك الجن هنا حطم كل هذه الملامح .. وأصابه جنون الغيرة  
 والندم بعد ذلك .. فتفرد بصورة جنون لم تكن لدى أحد من الشعراء .  
 أما ديك الجن فهو أبو محمد عبدالسلام بن رغبان .. وأما لقبه الذي  
 غلب عليه فهو ديك الجن .. أحد شعراء الدولة العباسية .. عاش ومات  
 في مدينة حمص .. فعرف بديك الجن الحمصى .  
 ولعلنا نتساءل عن أصل هذا اللقب الذي التصق بعبدالسلام بن  
 رغبان .  
 والإجابة تأتي بأكثر من وجه .. فمن قائل إنه يدعى ديك الجن لأن عينيه  
 خضراوان .



ومن قائل إنه كان يكثر من خروجه إلى البساتين ومعاقرته للخمر ..  
فسمى بذلك تشبهاً بدوية توجد في البساتين إذا أُلقيت في خر عتيق تظل  
فيها حتى تموت .. ومنهم من أجهد نفسه حتى وجد في شعرك الجن هذا  
البيت :

دعانا أبو عمرٍ عميرُ بنُ جعفرٍ على لحمٍ ديكٍ دعوةً بعد موعِدٍ

فألصق به اسم الديك .. وأتبعه بالجن !  
وديك الجن شاعر مجيد من شعراء الدولة العباسية .. وكان من ساكني  
حمص وكان يتشيع تشيعاً حسناً .. وله مرثية كثيرة في الحسين بن علي .  
وهو أستاذ لأبي تمام .. ومعاصر لأبي نواس .. ودعبل الخزاعي ..  
وبشار .. والبحري .

وكان ديك الجن جريئاً على الشعر .. مجدداً في عصر يتمسك بالتقاليد  
الفنية ولا يعترف بغيرها .

وكان متطرفاً في كل شيء .. متطرفاً في هوهِ وخمرهِ .. متطرفاً في  
أشعارهِ .. وبالرغم من ضياع معظم شعرهِ .. إلا أن ما وصلنا منه يكفي  
لنعرف منه قصته مع حبيبته ورد فماذا عن هذه القصة .. وكيف تختلف  
عن غيرها من قصص المجانين !

## ٢

كان لديك الجن ابن عم له يقال له : أبو الطيب .. وكان يحقد عليه  
ويغضه .. ويروى أنه جاءه يوماً يقول له :  
— يا ابن عمي أرى أنك تنفق مالك فيما لا طائل منه .. ولو كنت  
مكانك لأمسكت يدي على ميراث أبي .. وأثمته .. وجعلته بعيداً عن يد  
الأيام .



ويتبسم ديك الجن في وجه ابن عمه قائلاً :  
— لا تحش على يا أبا الطيب فأنا لا أخاف الفقر .. وهب أن أموالى  
نفدت ألا يكفينى شعرى :

ما الذنب إلا لجدى حين ورثنى علماً .. وورثته من قبل ذاك أبى  
فالحمد لله حمداً لا نفاذ له ما المرء إلا بما يحوى من النسب

ويمضى أبو الطيب مغنياً من إصرار ديك الجن على ما يفعل .. ويضمراً  
في نفسه شراً له .

وكما اعتدنا في قصص العشق العربى .. يلتقى الحبيبان وكأن القدر  
يسوقهما إلى هذا اللقاء .

لقد كان ديك الجن يوماً يطوف بالسوق .. فوقعت عيناه على وجه  
صبيح .. ووجد لسانه يلهج قائلاً :

سقانى ثم قبلنى وأومى بطرفٍ سقمه يشقى سِقامى

فمن تكون صاحبة هذا الوجه الصبيح ؟  
يقول عنها ديك الجن :

انظر إلى شمس القصور وبذرهما	وإلى خزامها وبهجة زهرها
لم تبل عينك أبيضاً فى أسود	جمع الجمال .. كوجهها فى شعرها
وردية الوجنت يختبر اسمها	من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكُ من أردافها	عجباً .. ولكنى بكيت لخصرها
تسقيك كأس مُدامة من كفها	وردية ومدامة من ثغرها

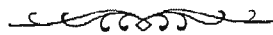
من هى إذن شمس القصور هذه .. وردية الوجنت -



إن اسمها ورد .. جارية نصرانية من أهل حمص .. وقعت في قلب  
ديك الجن وسلبت له وخياله وأشعاره .  
ويعلم أبو الطيب بهذا الحب الذي رآه فرصة سانحة للنيل من ديك  
الجن .. فأقبل عليه يلومه على حبه لنصرانية .. وكيف ينوى الاقتران بها  
وهي ليست على دينه .  
وكانت المفاجأة ..  
أجابه ديك الجن في هدوء :  
— ما رأيك يا ابن عمي لو أن ورداً أجابتنى إلى ديني وأسلمت ..  
أيكفي هذا لكي يطمئن قلبك ؟  
وأسقط في يد أبي الطيب ويزداد حقدا عليه .  
ويدرك ديك الجن ما تنطوى عليه نفس أبي الطيب .. فكلما قال ديك  
الجن قصيدة جديدة .. وقعت في قلب أبي الطيب كالسهم القاتل .. وكلما  
سمع خبراً عن عاطفة ديك الجن وورد .. ازداد غيظاً .  
ويجد ديك الجن نفسه يصور هذه الحالة :

يا عجباً من أبي الخبيث ومن      خروجه في النكائر الدثرة  
يحمل رأساً تنبو المعاول عن      صفحته والجلامدُ الوعرة  
لو البغال الصلبُ ارتقت سندا      فيه لمدت قوائماً خدرة  
يا كل من وكل طالعةٍ      نحس ويا كل ساعة عسرة  
سبحان من يمسك السماء على الأر      ض .. وفيها أخلاقك القذرة

ويدفع هذا الموقف ديك الجن فيقترن بحبيته ورد .. وتسلم ورد ..  
ويظلهما سقف واحد .. ويفد على ديك الجن أصدقاؤه ومحبه ليهنتوه بهذا  
الزواج السعيد .





يكاد شعر ديك الجن الذى وصلنا يحسد هذه العاطفة المجنونة بين ديك  
الجن وورد .. لقد ملكت عليه حياته ليل نهار :

قولى لطيفك ينشئ عن مضجعى .. عند المنام  
عند الرقود .. عند الهجوع عند الهجود عند الوسن

فعسى أنام فتتطفئ نازّ تأجج في العظام  
في الفؤاد .. في الضلوع .. في الكبد .. في البدن  
جسدٌ تقلبه الأكف على فراش من سقام  
من قتاد .. من دموع .. من وقود .. من حزن  
أما أنا فلقد علمت .. فهل لوصلك من دوام  
من معاد .. من رجوع .. من وجود .. من ثمن

ويجد أبو الطيب نفسه في موقف لا يحسد عليه .. فقد وفد إلى ديك الجن  
أهل حمص يهشونونه وباركون هذا الزواج .

إن عليه أن يفعل هذا أيضا .. ولو كان هذا ضد رغبته .

ويذهب أبو الطيب .. ويهوى ديك الجن وزوجته .. ويتظاهر بالحب  
والمودة .. ويتمنى لهما السعادة .

ويبدو أن ديك الجن كان قد أسرف على نفسه .. وأنفق ماله على  
استقبال ضيوفه وأصدقائه يشرب معهم حتى الصباح .. تغرقه السعادة  
والفرحة .. حتى أعسر واختلت حاله .

وأخذ يفكر في مصيره .. ماذا يفعل .. وكيف يحصل على المال الذى  
يكفيه هو وحبيبته والذى يعينه على عوادي الزمن .

إنه لا يريد أن يشمت فيه أحد خاصة ابن عمه أبو الطيب .

وتقدم له ورد عقدها الذهبى الثمين لكى يبيعه وينفق من ثمنه .. لكنه



يرفض ذلك ويفضل أن يرحل إلى سَلَمِيَّة قاصداً أحمد بن علي الهاشمي .  
وتود ورد أن تصحبه في رحلته . . لكنه وجدها أمراً شديداً الوطء على  
صديقه أن يستضيف اثنين . . وفضل أن يذهب وحده .  
ويوم الرحيل قبل ديك الجن حبيبته قائلاً :  
— لن أغيب طويلاً عنك يا حبة القلب . . وإذا أعوزتك الحاجة فلديك  
ابن عمي أبو الطيب وقد أتانا معتذراً .  
صحبتك السلامة يا ديك الجن .  
لقد كنت شأن الشعراء الأصفياء القلب . . تغفو وتصفح وتنسى كل  
إساءة . . وتوصي امرأتك بأن تتصل يا بن عمك فقد أتاك مهثماً معتذراً . .  
وجمع بينكما الطعام والشراب . . فلا مكان إذن للغدر أو الخيانة .  
ويعلم أبو الطيب برحيل ديك الجن .  
هذه فرصتك يا أبا الطيب . . إنه يحدث نفسه في شماته :  
— هذا ديك الجن قد أتلّف ماله الذي ورثه عن أبيه . . وكان يمكنني أن  
أطالبه بنصيب في .  
وهو شاعر طبق بشعره الآفاق . . وروته الرواة . . وحاز من الشهرة  
ما لم أنله أنا طوال حياتي . . بل زاد على ذلك أن هجاني بقصيدة رواها عنه  
حسادى وأعدائي . . وأصبحت مضغة في أفواههم لوقت طويل .  
وهذه الحسنة الذي فاز بها ولم يكن يستحقها . . لقد حاولت أن أبعده  
عنها لعلني أنجح في الوصول إليها . . لكنه تحداى واقترب منها . . وأصبحت  
هي أيضاً حديث الناس من شعر ديك الجن .  
والآن . . لقد خلت الساحة لك يا أبا الطيب .  
وتجسد الشيطان في داخل أبي الطيب ليرسم مؤامرة دقيقة الخيوط .  
لقد استدعى أبو الطيب غلامه بكر . . وأمره أن يذهب إلى ورد ببعض  
الهدايا ويخبرها بأن سيده يريد أن يذهب إليها في الليل .  
وتأبى ورد هدايا أبي الطيب وترفض قبول الزيارة لها في الليل .



ويخفق أبو الطيب في أول اختبار .. ليفكر في شيء آخر .  
 ماذا ينوي أن يفعل أبو الطيب ١٩ .  
 لقد أشاع أن وردا تخون ديك الجن مع غلامه بكر .  
 واجتهد في إذاعة هذا الخبر في كل مكان .. ويظل الخبر يتناقل ..  
 ويتناقل .. حتى يصل خارج حمص إلى سلمية .. وإلى أسماع أحمد  
 الهاشمي .. الذي يخبر به ديك الجن في أثناء إقامته عنده ..  
 ويشور ديك الجن .. ويعزم على العودة والثأر من زوجته الخائنة .



ويعلم أبو الطيب بعودة ديك الجن .. لم يبق غير يومين .. ويصل ديك  
 الجن إلى حمص وعلى أبي الطيب أن يقيم الدليل على خيانة ورد .. في  
 حضور ديك الجن .  
 ويعود ديك الجن ويستقبله الناس على مشارف حمص يؤكدون له سوء  
 خلق زوجته وفسادها .. وهو لا يرد عليهم .. بل أخذ يسابق الريح حتى  
 دفع باب بيته .  
 وكانت لحظات قاسية سريعة .. جرت على هذا النحو .  
 إن ورداً تستقبل زوجها العائد بلهفة محنونة .. لكنه ينكر منها هذه  
 اللهفة . وتندش ورد لسلوك زوجها .. فيصرخ فيها :  
 — ألا تعلمين ماذا بي يا خائنة .. ومع من .. مع غلام أبي الطيب ..  
 هل هانت عليك نفسك وهنت أنا عليك إلى هذا الحد .  
 ويتدخل غلامه سعيد لعله ينقذ سيده من هذه الوشاية .. فلا يسمع له  
 ديك الجن .  
 وتقسم له ورد أن شيئاً من هذا لم يحدث .. وأنها وفيه له ..  
 ويسمع طرقة على الباب .  
 وتسود لحظة صمت .. ينظر ديك الجن فيها إلى ورد في ترقب ..



ويأمرها أن تسأل : من الطارق .  
 وفي رعب شديد تسأل ورد : من الطارق .  
 كان غلام أبي الطيب من يطرق الباب .. إنه يجيب :  
 — أنا بكر يا ورد ..  
 لم يقل أنا بكر ياسيدتي .. والمعنى مقصود !  
 ويصيح ديك الجن :  
 — أرايت أيتها الكاذبة الملعونة .. إنه يناديك باسمك .. لقد زعمت  
 أنك لا تعرفين شيئا عن هذا الأمر .  
 وتؤكد له ورد وهي باكية : أنا لا أكذب والله .. صدقني .. إنها  
 خديعة .  
 ويتدخل سعيد غلام ديك الجن .. فينحيه ويلقيه أرضا .. وينزع سيفه  
 من غمده ويهوى عليها به .. فتسقط صريعة في دماثها الشريفة .  
 ويصرخ ديك الجن :

ليتني لم أكن لعطفك نلتُ وإلى ذلك الوصال وصلتُ  
 فالذي مني اشتهمت عليه ألعار ما قد عليه اشتهمتُ  
 قال ذو الجهل قد حلمت ولا أعلم .. أني حلمت حتى جهلتُ  
 سوف آسى طول الحياة وأبكيك على ما فعلت لا ما فعلتُ  
 لائم لي بجهله .. ولماذا أنا وحدى أحبيتُ ثم قتلتُ

ويسأله غلامه : ماذا فعلت ياسيدي ؟  
 فيجيب : لقد غسلت عاري بسيفي ياسعيد .. لقد شفيت غليلي ..  
 وسوف أخرج للناس معلنا ذلك .

خنت سرى مواتيهِ والمنسـايا معاديهِ





أيها القلب لا تعدّ لهوى البيض ثانية  
ليس برق يكون أخلب من برق غانيه  
خنت سرى ولم أحنك .. فموق علانيه

ولنتوقف قليلاً أمام هذه المأساة .. كما توقف الكثيرون قبلنا ..  
لقد وصفه البعض بأنه عطيل العرب .. وورد مثل ديدمونة البرية ..  
وأبو الطيب أشبه (بباجو) ذلك الشرير الذى نسج خيوط التآمر .  
ومن هنا كانت المأساة واحدة من قمم الدراما العربية ..  
ليته ما سافر ورحل إلى سلمية .  
وليته استوثق من الوشاية .  
لكن تطرفه الشديد هو الذى حدا به إلى تصديق ما يقال وما يشاع ..  
لقد أعمته الغيرة .. فاستجاب للهواجس والأوهام .  
ألم تكن تستطيع أن تتحرى الأمر ياديك الجن !

٥

ويعتكف ديك الجن فى بيته حزيناً على مصيره ..  
أما أبو الطيب فقد فضل أن يبيع غلامه بكراً إلى أحد التجار ..  
ويتخلص منه .. ثم ينطلق إلى ذيك الجن يواسيه فى محنته .. ويترك له  
بعض المال .  
لقد تحقق هدف أبى الطيب .  
ترى هل وصلنا إلى آخر أوراق المأساة .  
إن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد .. فقد ظل الفتى يعذبه ضميره ..  
لا ينام الليل ولا يغمض له جفن .. إنه لا ينسى طهارة ونقاء وصفاء سيده  
ورد .



أراد الفتى أن ينزل عن كاهله هذا العبء الثقيل .  
 دخل على سيده التاجر .. وقص عليه قصته .  
 ولم ينم التاجر ليلته .. بل انطلق يرحل إلى حمص حيث ديك الجن ..  
 ويخبره بحقيقة الأمر .  
 ويدرك ديك الجن في الوقت الضائع ما جتته يده .  
 لقد ظلم ورداً .. واتهمها ظلماً بالخيانة ..  
 لكن ماذا يمكنه أن يفعل الآن .. كيف يعيد ورداً إلى الحياة .. إنه شيء  
 مستحيل ..  
 ويسرع ديك الجن إلى قبر ورد .. يحفره بأظفاره ويأخذ بعضاً من رفات  
 جسدها الطاهر ليصنع منه كأساً يشرب بها طوال حياته .  
 ويظل يبكي ويبكي .  
 ويظل يندم ويندم بلا جدوى .

يا طلعة طلع الحمام عليها	وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما	روى الهوى شفتى من شفتيها
قد بات سيفى في مجال وشاحها	ومدامعى تجري على خديها
فوحق نعلها وما وطىء الحصى	شيء أعز على من نعلها
ما كان قتلها لأنى لم أكن	أبكر إذا سقط الغبار عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها	وانفت من نظر الحسود إليها

ويعرغ وجهه في تراب قبرها .. ويشرب بكأس رفاتها .. فيسكر حتى  
 الشمال ثم يفيق مرة أخرى ليرثيها بشعره :

أساكن حفرة وقرار لحد	مفارق خلة من بعد عهد
أجبنى إن قدرت على جوابى	بحق الود .. كيف ظللت بعدى



وأين حللت بعد حلول قلبي      وأحشائي وأضلاعي وكبدي  
أما والله قد عانيت وجدى      إذا استعبرت في الظلمات وحدى  
ويعذلني السفيه علي بكائي      كأن مبتلى بالحزن وحدى  
يقول قتلتها سفهاً وجهلاً      وتبكيها بكاء .. ليس يجدى  
كصياد الطيور له انتحاب      عليها وهو يذبحها بحد ..

ويظل مغشياً عليه لا يفيق إلا على أبيات جديدة يندم فيها .. ويرثى بها  
وردًا .. وكان قومه يدركونه ويأتون له بالطعام فلا يأكل .. حتى جاءوه  
يوماً وهو في آخر لحظاته فسمعوه يقول أبياته الأخيرة :

عهدي به ميتاً كأحسن نائم      والحزن يسفح عبرتي في نحره  
لو كان يدرى الميت ماذا بعده      بالحي .. حل .. بكى له في قبره  
غصص تكاد تفيض منها نفسه      ويكاد يخرج قلبه من صدره

ويسلم ديك الجن روحه إلى بارئها نادماً حيث لا يجدى الندم .





## الفهرس

### الصفحة

- تمهيد في الحب .. والجنون .....
- ١ - المرقش الأكبر وصاحبه أسماء .....
- ٢ - المرقش الأصغر .. ومعاقبة الذات .....
- ٣ - يزيد بن الطثرية .. عاشق اليمامة .....
- ٤ - المخبل .. وميلاء .....
- ٥ - ابن العجلان .. عاشق زوجته .....
- ٦ - عبدالله بن علقمة .. وصاحبه حُبَيْش .....
- ٧ - مُرَّة بن عبدالله .. ومعشوقته .. ليلي .....
- ٨ - القشيري .. مجنون رِيَا .....
- ٩ - عروة بن حزام .. رائد العذريين المجانين .....
- ١٠ - قيس بن الملوّح .. مجنون ليلي .....
- ١١ - قيس بن ذريح .. مجنون لبني .....
- ١٢ - جميل بن معمر .. وبشينة .....
- ١٣ - كثير بن عبدالرحمن .. مجنون عزة .....
- ١٤ - العباس بن الأحنف .. مجنون فوز .....
- ١٥ - ديك الجن .. وجنون الندم .....



غلاف : محمد عفت

ماكيت وإخراج : خالد عبدالرازق



## المؤلف

### ١ - الشعر :

- |      |                      |                                        |
|------|----------------------|----------------------------------------|
| ١٩٦٧ | دار الكتاب العربي    | * الطريق والقلب الحائر                 |
| ١٩٧٠ | مؤسسة التأليف والنشر | * الهجرة من الجهات الأربع              |
| ١٩٧٣ | دار الناشر العربي    | * البحث عن الدائرة المجهولة            |
| ١٩٧٧ | مكتبة مدبولي         | * الليل وذاكرة الأوراق                 |
| ١٩٨٠ | هيئة الكتاب          | * الخروج إلى النهر                     |
| ١٩٨٥ | دار الشروق           | * السفر والأوسمة                       |
| ١٩٨٦ | مكتبة مدبولي         | * العطش الأكبر                         |
| ١٩٨٧ | هيئة الكتاب          | * الشوق في مدائن العشق                 |
| ١٩٨٩ | دار الشروق           | * قراءة في كتاب الليل                  |
| ١٩٩٢ | هيئة الكتاب          | * الأعمال الشعرية ( ٨ دواوين في مجلد ) |
| ١٩٩٣ | دار الشروق           | * شظايا                                |

### ب - المسرح الشعري :

- |           |             |           |
|-----------|-------------|-----------|
| ١٩٨٢      | دار المعارف | * اخناتون |
| ١٩٨٣      | هيئة الكتاب | * شهريار  |
| تحت الطبع | هيئة الكتاب | * عنقرة   |

### ج - دراسات :

- |      |                            |                                 |
|------|----------------------------|---------------------------------|
| ١٩٨١ | المجلس الأعلى للثقافة      | * شعرنا القديم رؤية عصرية       |
| ١٩٨٤ | هيئة الكتاب                | * المرأة في شعر البياتي         |
| ١٩٨٥ | دار المعارف                | * أطفالنا في عيون الشعراء       |
| ١٩٨٦ | المركز القومي لثقافة الطفل | * محمد الهراوي شاعر الأطفال     |
| ١٩٩١ | مركز الكتاب للنشر          | * التربية الثقافية للطفل العربي |
| ١٩٩١ | الدار المصرية اللبنانية    | * مسلمون همزوا العجز            |

### د - للأطفال :

- |      |                     |                                         |
|------|---------------------|-----------------------------------------|
| ١٩٨٠ | دار الشروق          | * حكايات من الف ليلة وليلة ( ٥ حكايات ) |
| ١٩٨٧ | مؤسسة الخليج العربي | * عشر مسرحيات شعرية                     |
| ١٩٨٩ | مؤسسة الخليج العربي | * حكمة الأجداد                          |
| ١٩٩٣ | دار المعارف         | * أبو العلاء المعري                     |

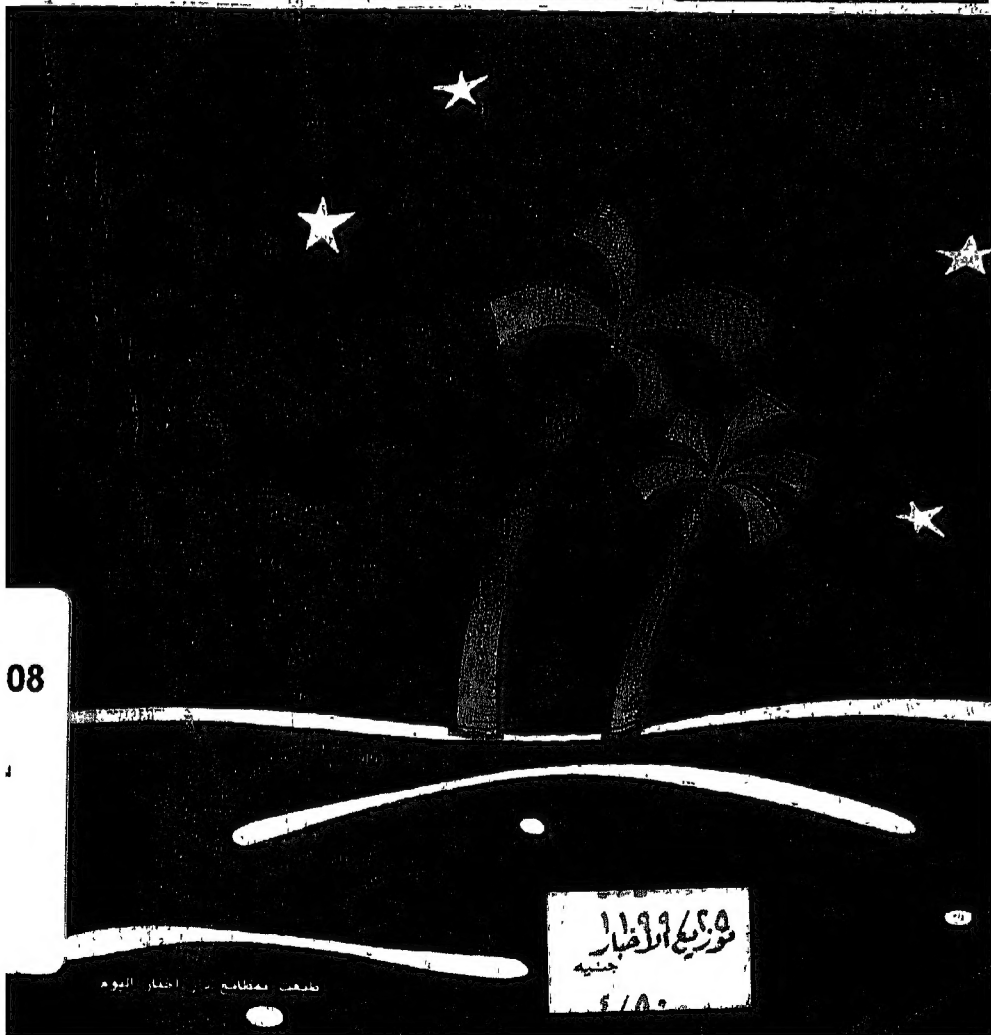
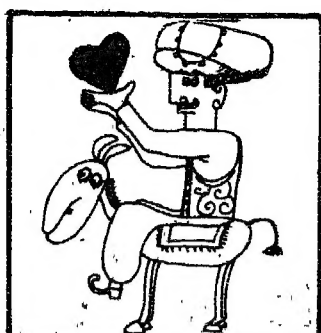
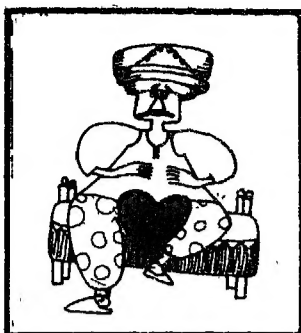




رقم الايداع ٩٣/٧٠٨٩  
I.S.B.N  
977 - 08 - 0197 - 6







08

١١٩٩/٢٥  
توزيع الأضواء  
٤/٥٠

طبع في مطابع دار النشر اليوم